

رواية الشعر العربي حتى أواخر القرن الرابع الهجري  
بين قصدية الصرف والإلحاق

د. محمد خالد الزعبي

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية

جامعة اليرموك - الأردن

العنوان البريدي : قسم اللغة العربية / جامعة اليرموك / إربد

العنوان الإلكتروني : zzzoubi@hotmail.com

الهاتف النقال : ٠٠٩٦٢٧٩٥٥٦٥٥٧٠

ملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة تعدد روايات البيت الواحد في الشعر القديم من زاوية التغييرات التي رأى أنها تغييرات مقصودة ، سواء أكانت تغييرات مغرضة أم غير مغرضة ، ولا يراد بها إصلاح البيت أو تحسينه . وقد أطلق البحث على هذه التغييرات مسمى الصرف والإلحاق .

وقد تتبع البحث مظاهر هذه التغييرات فلاحظ أن منها ما يكون تغييراً جزئياً يلحق البيت المفرد من خلال التغيير في أسماء القبائل والأشخاص والأماكن ، وفي بعض المفردات ، وفي المعاني والصور ؛ ومنها ما يكون تغييراً كلياً على مستوى النص ، مثل له البحث بالوقوف عند عدد من القصائد هي : بائئة امرئ القيس وبائية علقمة بن عبدة ، وسينية امرئ القيس وسينية بشر بن أبي

خازم، والقصيدة الرائية التي أوردتها بديع الزمان الهمذاني في المقامة البشرية ، والتي نسبتها بعضهم إلى عمرو بن معديكرب الزبيدي. وقد أعاد البحث دوافع التغييرات المغرضة إلى العصبية بأنواعها المختلفة، أما التغييرات غير المغرضة فقد تعود إلى الأهواء الشخصية بدوافع نفسية أو فنية.

الكلمات المفتاحية : الشعر الجاهلي ، الرواية ، التغييرات المقصودة ، الإلحاق ، التزييف ، التحوير .

## Intentional Changes Introduced into the Narration of Old Arabic Poetry up to last Part of the Fourth Century AH-

Mohammad.K. Alzoubi, Faculty of arts, Dept. of Arabic –  
Yarmouk University, Irbid,

### Abstract

This research deals with the phenomenon of multiple narrations of one and the same poem in old Arabic poetry, with an eye on determining whether such changes and modifications were intentional or not. The researcher traces the manifestations of these changes, as well as points out that some of them are only partial changes within the same line of poetry due to changes in the names of tribes, people and

places, as well as some vocabulary items. Changes, however, sometimes extend to include the meanings and images, ending up with a complete change at the text level. This research deals with some cases in point, such as two poems by Umru Al-Qais and Alqama bin Abda with the same rhyme, two other poems by Umru Al-Qais and Bishr ibn Abi Khazim with the same rhyme again, and, finally, the elegy reported by Badi al-Zaman al-Hamadani, which was claimed by some other critics and narrators to Amr ibn Ma`di Karib al-Zubaidi.

**Keywords:** Pre-Islamic poetry, Narration, Intentional Changes, Modifications, Fake Poetry

#### مقدمة :

تعد ظاهرة تعدد روايات البيت الواحد من أبرز الظواهر التي رافقت الجهود الصادقة والمضنية لعلماء الرواية، وتمخضت عنها. وإذا سلمنا حكماً بأن رواية واحدة من بين روايات البيت الواحد هي الرواية الصحيحة (مع احتمال صدور أكثر من رواية عن الشاعر نفسه)، فإن بقية الروايات هي روايات انبثقت من ونمت حول هذه الرواية الأم. والتغيرات في هذه الروايات بطبيعة الحال بعضها تغييرات عفوية غير مقصودة بسبب التصحيف أو أخطاء الذاكرة، وبعضها الآخر تغييرات مقصودة، كتلك التي كان يقوم بها الرواة العلماء، بنية حسنة، لإصلاح العيوب الشكلية والمعنوية في البيت الشعري، أو تلك التي قام بها بعض القبائل ورواتها استجابة لمقتضيات اختلاف اللهجات واللغات.

ولكن من بين هذه التغييرات المقصودة نوعان آخران: الأول تغييرات مغرصة يراد بها التزييف أو النحل اتباعاً لهوى أو عصبية، على غرار ما أوضحه لنا محمد بن سلام. وهذه التغييرات قد تكون تغييرات جزئية في حدود البيت الواحد، أو تغييرات كلية تشمل القصيدة بأسرها. والنوع الثاني تغييرات غير مغرصة ولا عصبية وراءها، وليست، من ثم، من قبيل النحل، لكن فيها تطوياً على الرواية وتحويراً لها يفوق حدود التحسين المعهودة. ويتناول البحث الحالي هذين النوعين المختلفين من التغييرات المقصودة.

وقد رأى الباحث أنّ عليه أن يشير إلى هذين التغيرين المختلفين بمسمى دقيق ينضوي تحته معاً، وقد رأى في مصطلحي الصرف والإلحاق ما يفي بهذا الغرض. فالصرف، في اللغة، الدفع والرد. <sup>١</sup> وصرف الشيء صرفاً: رده عن وجهه <sup>٢</sup>. وفي اللفظ ما يدل على التغير والتبديل، فقد سمي حدث الدهر صرفاً لأنه يتصرف بالناس، أي يقلبهم ويردهم <sup>٣</sup>. ومن ذلك تسمية العلم الذي يتناول صيغة الكلمة وبنيتها بعلم الصرف ويعلم التصريف <sup>٤</sup>. والتصريف: التغير. ومن المجاز: صرف فلاناً بفلان: ولّاه مكانه <sup>٥</sup>. ومن معاني الصرف ما يدل على الكذب، فصرف الكلام: تزيينه والزيادة فيه، لصرف الأسماع إلى استماعه <sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٣٦.

<sup>٢</sup> المعجم اللغوي في القاهرة، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥، مادة "صرف".

<sup>٣</sup> ابن فارس، أبو الحسن أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨، مادة "صرف"، ص ٥٩٠.

<sup>٤</sup> حسن، عباس، النحو الوافي، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ٧٤٧/٤.

<sup>٥</sup> العدناني، محمد، معجم الأخطاء الشائعة، ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٤٠.

<sup>٦</sup> ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة "صرف"، ص ٥٩٠.

أما الإلحاق، في اللغة، فمن ألحق فلاناً فلاناً وبفلان: أي أتبعه إياه وجعله يلحقه<sup>٧</sup>. ويقال: ألحق القائف الولد بأبيه: أخبر بأنه ابنه لشبه بينهما يظهر له<sup>٨</sup>. وفي الكلمة معنى الكذب والادعاء، نقول: استلحق فلاناً: ادّعاه ونسبه إلى نفسه<sup>٩</sup>. ومن المجاز: "هو مُلحق: مُلصقٌ دعيّ"<sup>١٠</sup>.

وهكذا تشترك اللفظتان في معنى التغيير، وتشيران في بعض استخداماتهما إلى معنى الكذب ومظنة الاختلاق، كما أن لفظه "الإلحاق" تضيف إلى لفظه "الصرف" معنى بيان جهة الصرف والغاية منه. وبهذه الدلالات تبدو اللفظتان صالحتين لتسمية هذه التغييرات المقصودة بهما؛ ففي كل تغيير للرواية الشعرية صرف للشعر عن صورته وأصله الصحيح أو عن صاحبه، بنية حسنة أو سيئة، وإلحاقه بصورة جديدة مدعاة، على صعيد اللفظ أو المعنى أو الصورة أو النسبة.

وهذا البحث لا يعرض لقضية النحل في الشعر العربي القديم من الزاوية النظرية، إنما يقوم على جملة من الروايات التي اجتمعت للباحث على مدى زمني غير قصير، وأثارت ريبته في صحتها- في ضوء المادة المعرفية العامة التي قدمها الدارسون السابقون أو ابن سلام تحديداً- وأحبّ أن يضعها بين أيدي الباحثين يرون فيها رأيهم، ولعل فيها صحيحاً نافعاً. وقد رأى الباحث أن يضمّن هذه الروايات بعض الروايات المعروفة لدلالاتها القوية على هذه الظاهرة، وتأييدها لما ذهب إليه. غير أن هذه الروايات التي يقدمها البحث هي مجرد أمثلة لا تستوعب أشكال الصرف والإلحاق في الرواية، كما لا تستغرق أمثلة النوع الواحد منها، وهي بالمثل لا تستوعب دواعي الصرف والإلحاق جميعها، ولم تشأ ذلك، لأن البحث إنما انطلق من أمثلة بعينها، دون غيرها من المنطلقات.

وجميع هذه الروايات تدور حول شعر لشعراء جاهليين (ما عدا استثناءات قليلة) أو شعر نسب إلى أحدهم (رواية واحدة). ومعظم هذه الروايات لم تُشفع بخير يتهمها أو يشكك في

<sup>٧</sup> المجمع اللغوي، المعجم الوسيط، مادة "لحق".

<sup>٨</sup> السابق، مادة "لحق".

<sup>٩</sup> السابق، مادة "لحق".

<sup>١٠</sup> الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت،

صحتها، ولكنها مما قد يشير الريبة ويشير إلى القصدية المستترة وراءها. وكان منهجنا في محاكمة هذه الروايات يقوم على تفحص الشعر من داخله، أي من حيث الشكل والمضمون وبحسب الملابس الخاصة بكل رواية، تاريخية وغير تاريخية، مع الأخذ بالاعتبار مصدر الرواية وسندها ومكانة الراوي.

#### الدراسات السابقة: إطلالة تاريخية موجزة:

شغلت قضية النحل أو الوضع العلماء العرب القدماء كثيراً. ويعد محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ) من بينهم أهم من عالج هذه القضية في كتابه "طبقات فحول الشعراء"<sup>١١</sup>. وفيه عرّف بهذه القضية ورسم حدودها، وكشف عن أسبابها، ومثل عليها بأمثلة كثيرة.

وفي العصر الحديث أثار المستشرقون هذه القضية من جديد، على تفاوت بين مواقفهم منها، ما بين متشدد ومقتصد، ومشتط مهاجم، ومعتدل مدافع.<sup>١٢</sup> ومن بين العرب المحدثين يعد مصطفى صادق الرافعي فيما نعلم أول من تناول هذه القضية. وموقفه منها بالإجمال لا يتعارض مع موقف القدماء مع وضوح في الشخصية واستقلالية في الرأي<sup>١٣</sup>. ثم تناولها طه حسين<sup>١٤</sup> في كثير من المبالغة، وشيء من الاضطراب والتناقض أحياناً. وقد سُوّدت صفحات كثيرة في الرد عليه.<sup>١٥</sup> ومن أبرز من درس هذه القضية وأرّخ لها عند القدماء والمحدثين، وتناولها من جوانبها المختلفة في

<sup>١١</sup> الجمحي ، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاکر ، مطبعة المدني ، جدة ، ١٩٨٠م.

<sup>١٢</sup> انظر مقالات عدد منهم في كتاب: "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي"، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩؛ ولمزيد من الأمثلة انظر: الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٣٥٢-٣٧٦.

<sup>١٣</sup> الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. ٣٨٤-٣٤٣/١.

<sup>١٤</sup> حسين، طه، الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.

<sup>١٥</sup> انظر عرضاً للكتاب والردود عليه في: (الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٣٧٧-٤٢٨).

إفاضة وتوسع، ناصر الدين الأسد في كتابه: مصادر الشعر الجاهلي<sup>١٦</sup>. وقد عرض فيه للرواية ومفهومها ومصطلحاتها، والرواة وطبقاتهم وتوثيقهم، وصولاً إلى قضية النحل ومعالجة القدماء لها، ثم مواقف المستشرقين منها، والدارسين العرب ومنهم طه حسين، والرودد عليه.

ثم ترددت هذه القضية من بعد في كثير من الدراسات العامة، ككتب تاريخ الأدب العربي<sup>١٧</sup>. أو الكتب التي عالجت قضايا الشعر الجاهلي ومن بينها هذه القضية<sup>١٨</sup>، بما لا يختلف جوهرياً عما قدمه الأسد في كتابه المذكور.

وقد أسهم محققو دواوين الشعر الجاهلي وجامعوه في الكشف عن حجم القضية وفرز الصحيح من المشكوك فيه، والمشارك النسبة، ثم المنحول من شعر من ينشرون شعره، من مثل صنيع أبي الفضل إبراهيم في تحقيق ديوان امرئ القيس<sup>١٩</sup>. وكذلك شأن من عرضوا لدواوين الشعراء وصحة أشعارهم فيها من خلال دراسة شعرهم، كما فعل شوقي ضيف في دراسته لشعر امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى والصعاليك في كتابه: "العصر الجاهلي"<sup>٢٠</sup>. ولكنهم في الإجمال يصدرون عما ما قرره القدماء وما شكوا فيه أو قالوا بنحله.

ولا بد من الإشارة إلى إسهام نظرية النظم الشفوي من ناحية توثيق الشعر الجاهلي وصحة نسبته إلى العصر الجاهلي من خلال المقارنة بينه وبين الشعر الكتابي في العصر العباسي، بالاعتماد على نسب التكرار الصيغي في الشعرين، كما فعل جيمس مونرو مثلاً<sup>٢١</sup>.

وفي العقود الأخيرة توالى دراسات عديدة حول اختلاف أو تعدد الروايات في الشعر القديم، دون أن تضع في اعتبارها - ما عدا بعضها - احتمالات القصدية في بعض هذه الروايات، التي هي

<sup>١٦</sup> السابق، ص ٣٧٧ - ٤٢٨

<sup>١٧</sup> انظر مثلاً: ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، ط ٤٠، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٧، ص ١٦٤-١٧٦.

<sup>١٨</sup> انظر مثلاً: العتوم، علي، قضايا الشعر الجاهلي، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٢، ص ٢٠٥-٢٥١.

<sup>١٩</sup> امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤.

<sup>٢٠</sup> انظر الفصول التي عقدها المؤلف لهؤلاء الشعراء في هذا الكتاب.

<sup>٢١</sup> مونرو، جيمس، النظم الشفوي في الشعر الجاهلي، ترجمة فضل بن عمار العماري، ط ١، دار الأمانة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ١٩٨٧.

مظنة النحل والوضع أحياناً. وقد اتخذت هذه الدراسات غالباً، وكثير منها رسائل جامعية، منحي تطبيقياً من زوايا مختلفة باختلاف الحقل أو التخصص العلمي الذي تنتسب إليه الدراسة. فقد تكون الدراسة لغوية<sup>٢٢</sup> أو نحوية<sup>٢٣</sup> أو بلاغية<sup>٢٤</sup> أو نقدية<sup>٢٥</sup>. وهكذا.

وعالجت بعض الدراسات ظاهرة تعدد الرواية في ضوء نظرية النظم الشفوي، التي لا يكتثر أصحابها أصلاً بالفرقة بين التغييرات المقصودة وغير المقصودة، ولكنهم يرون في تعدد الروايات حتى المنحول منها إسهاماً جماعياً في إنشاء النص والتفاعل معه، أي إسهاماً لـ"الثقافة"، ولا يؤمنون بفكرة الرواية الأصلية أو الصحيحة<sup>٢٦</sup>.

٢٢ - انظر مثلاً: صباح، مالك سليم، اختلاف روايات شواهد الأعشى الشعرية في لسان العرب، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩م. وهي ذات منحي لغوي، وتقوم فقط على رصد الاختلافات بين رواية الديوان ورواية لسان العرب لهذه الشواهد ووصفها.

٢٣ انظر مثلاً: جميل الله، ابراهيم حمد أحمد، اختلاف رواية الشواهد الشعرية وأثره في استنباط القواعد النحوية، دراسة (نحوية وصفية)، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، د.ت. وهي دراسة نحوية صرفة، يمثل الفصل الرابع فيها أساس الرسالة وفيه يعرض الباحث روايات البيت الواحد والقواعد النحوية التي تؤخذ من كل رواية في المرفوعات والمنصوبات والمجزورات والمجزومات.

٢٤ انظر: العوفي، حمد عبد الله، اختلاف الرواية في ديوان أشعار الهذليين، دراسة بلاغية، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٩. ولم تتمكن سوى من الاطلاع على مستخلص الرسالة من خلال ( Google ). وفيه أنها "دراسة تتناول ظاهرة...تعدد الرواية في النص الواحد، ودراسة ذلك التعدد دراسة بلاغية، تبين أثر ذلك التعدد على الجانب البلاغي للنص الشعري، ودراسة تلك الروايات المتعددة دراسة موازنة".

٢٥ كدراسة: التلب، عبد الخالق محمد السيد، اختلاف رواية الشعر بين المفضليات والأصمعيات: دراسة نقدية موازنة، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، د.ت. وهذه الدراسة توازن بين الأبيات المكررة في الكتابين المذكورين بروايتين مختلفتين، وترجح الرواية الفضلى من بينهما، دون أن تعنى بمسألة الأسباب والدوافع المحتملة وراء التعدد.

٢٦ انظر مثلاً: بكر، أيمن، تعدد الرواية في الشعر الجاهلي، ديوان الهذليين نموذجاً، ٢٠٠٤، الموقع الإلكتروني: [www.Kotobarabia.com](http://www.Kotobarabia.com). ويتمثل صلب الدراسة (وهي في الأصل رسالة ماجستير في كلية آداب القاهرة) في المقارنة بين روايات مرثية أبي ذؤيب العينية لإثبات أن هذه الروايات جزء أساسي من النص الشعري لا مجرد روايات هامشية؛ أي أن النص الجاهلي، في غياب النص الأصلي، يساوي جميع رواياته، ولا تمثله رواية واحدة.



أما الدراسات التي عالجت التغييرات المقصودة، فدراسات قليلة، بحسب ما أعلم. من أهمها دراستان لمصطفى الجوزو: الأولى بعنوان: "قراءة جديدة لقضية الشك في أدب الجاهلية". وهي في قسمين: تناول الأول منهما أسباب الشك في الأدب الجاهلي، وتناول الثاني ضروب الزيف والتزييف (كما يسميها) وأسبابها. وفي الكتاب من الإضافة ومراجعة بعض المسلمات ما قد يبرر وصف صاحبه له بأنه قراءة جديدة. أما دراسته الثانية فدراسة تطبيقية حملت عنوان: "شعر عنترة، دراسة تطبيقية لنظريات الشك في أدب الجاهلية". وأوضحت هذه الدراسة بتفصيل وبيان ما في شعر عنترة من نحل لم تسلم منه المعلقة نفسها وهي أوثق شعره، وأن معظم الشعر المنحول هو مما جاء في سيرته، أو روي بعد ظهور سيرته، وقد وضع يده على مواطن النحل ودوافعه مما هو جدير بالاعتبار.

وهناك دراسة بعنوان: "النحاة وصناعة الشاهد الشعري" لقسم السيد الياقوت محمد حسن<sup>٢٧</sup>، ودراسة بعنوان: "دوافع وأسباب اختلاف الروايات في الشعر العربي القديم"، لمحمد علي مهدي قاسم<sup>٢٨</sup>. وفيها يرصد الدارس الدوافع والأسباب التي أدت إلى ظاهرة اختلاف الروايات، انطلاقاً من وجود نوعين من الروايات المختلفة: روايات نتجت بسبب التحول من الثقافة الشفاهية إلى الثقافة الكتابية، وروايات نتجت عن قصد، وكان لوجودها دوافع دينية واجتماعية وفنية ولغوية". ومما خلص إليه الباحث من نتائج أن الدور الأكبر في إنتاج الروايات المختلفة يعود إلى تغييرات مقصودة.

كلمة في الرواة :

رأيت من الضروري أن أبين منذ البداية أنني لا أعزو معظم هذه التغييرات في الروايات المغرضة منها وغير المغرضة إلى رواة مدرستي البصرة والكوفة، فهؤلاء في الغالب قد أدوا الرواية

<sup>٢٧</sup> وهي رسالة دكتوراه في جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، نوقشت عام ٢٠١٢م. وهي دراسة نحوية خالصة. ومن نتائجها أن الشواهد النحوية المصنوعة مفسدة حقيقية للنحو.

<sup>٢٨</sup> وهي رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة. ولم أتمكن إلا من الاطلاع على ملخص الرسالة من خلال موقع "google". ويكشف ملخص الرسالة وعنوانها عن أن هذه الدراسة تتقاطع مع دراستنا في الاتجاه العام. ولكن يبدو من خلال الملخص أن الباحث يستحضر في رسالته الأمثلة والروايات الشعرية المعروفة التي تمثل التغييرات القصصية ودوافعها. وهذا - إن صح - يميز دراستنا عن دراسته وعن أي دراسة نظرية أخرى تتحدث عن ظاهرة النحل، لكون دراستنا دراسة تطبيقية تقوم على تقديم نماذج وأمثلة جديدة لم تطرح، في معظمها، من قبل.

كما سمعوها أو قرؤوها، ولكنني أعزوها إلى الرواة المتعاقبين والمتعددین منذ العصر الجاهلي وصولاً إلى الرواة الذين تلقى رواة المدرستين الرواية عنهم . ويدخل في زمرة هؤلاء الرواة أفراد القبائل أنفسهم في حياتهم العامة في العصر الجاهلي ثم الإسلامي حين يتمثلون بهذا الشعر ويتناشدونه ويتناقلونه في حلهم وترحالهم وفي أسواقهم وأسماهم وفي سلمهم وحبهم فيقومون بدور الرواة في إشاعة هذا الشعر في أنحاء الجزيرة ، وما هم برواة ، فتعدد الروايات وتنوع على نحو مقصود وغير مقصود. " وقد كان العرب ينشد بعضهم شعر بعض ... وقد يغير العربي فيما يتمثله من الشعر كلمة بأخرى يراها أليق بموضعها ... لأنهم إنما يتمثلون الشعر لغير الغرض اللغوي الذي قامت به الرواية ... وكان الرواة ينقلون الشعر على ما يكون فيه من مثل هذا الاختلاف ، ولا يبالون بأمره ، لأنهم يريدون لغة الشعر ... ولهذا تختلف الروايات... "٢٩ . وكثيراً ما كان يظهر هؤلاء الأعراب في المشهد الروائي في البصرة والكوفة وغيرهما كرواة تؤخذ عنهم الرواية أو كمصححين لرواية تروى في بعض مجالس العلم أو مجييين عن سؤال يسأل دون أن تذكر أسماؤهم في الغالب ٣٠ .

#### الصرف والإلحاق :

للصرف والإلحاق مستويان في الرواية : جزئي في حدود البيت الواحد ، وهو الأغلب ، وكلي على مستوى النص . وسنتبع أولاً مظاهر المستوى الأول .

#### الصرف والإلحاق الجزئي (على مستوى البيت الواحد غالباً) :

ويمكن أن نلاحظ أمثلة هذا المستوى في ما يأتي :

#### ١ - في أسماء القبائل والأشخاص :

٢٩ الرافعي ، مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب ، ٣٨٨/١ .

٣٠ البصري ، أبو القاسم علي بن حمزة ، التنبهات على أغاليط الرواة (مع كتاب المنقوص والممدود للفراء) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٦م ، ص ٨٣ .

من مظاهر التدخل بالبيت الشعري وتغيير وجهته استبدال ما ينطوي عليه من أسماء بأسماء أخرى بدافع العصبية أو الهوى الشخصي لسبب من الأسباب . ومن هنا فإن اختلاف الأسماء بين روايتين للبيت الواحد مظنة شبهة الصرف والإلحاق وتحتاج إلى تحقيق، كما في الخبر الذي ينقله إلينا أبو علي القالي، أنه بينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه على باب بني شيبه ، مرّ رجل وهو يقول :

يا أيها الرجل المحوّل رَحْلَهُ      ألا نزلت بآل عبد الدارِ .

هبلتكَ أمكُ لو نزلت برحليهم      منعوك من عُدمٍ ومن إقتارِ

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فقال : "أهكذا قال الشاعر" ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ، لكنه قال :

يا أيها الرجل المحوّل رحله      ألا نزلت بآل عبد منافِ

هبلتكَ أمكُ لو نزلت برحليهم      منعوك من عُدمٍ ومن إقراقِ

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " هكذا سمعت الرواة ينشدونه"<sup>٣١</sup>

نلاحظ في هذا الخبر كيف تم صرف المديح عن آل عبد مناف وإلحاقه بآل عبد الدار من خلال حيلة لطيفة هي إحلال "آل عبد الدار" مكان "آل عبد مناف"، وما اقتضى ذلك من تغيير حرف الروي في البيت الثاني. ولو وصلت إلينا الروايتان غير مشفوعتين بهذا الخبر ما عرفنا أيهما الرواية الصحيحة. ونلاحظ أن هذا التحريف يتم في فترة مبكرة من تاريخ الرواية في العصر الإسلامي.

<sup>٣١</sup> القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم ، الأمالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت ، ١ / ٢٤١ ؛ السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين: المزهري، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه ، دار الفكر، بلا مكان طبع ، بلا تاريخ طبع، ٢ / ٣٣٤ - ٣٣٥ . وقد أشار ناصر الدين إلى هذا المثال.(مصادر الشعر الجاهلي، ص ٢١١-٢١٢ .

ولعل من هذا ما جاء من أن قول الشمردل بن شريك اليربوعي<sup>٣٢</sup> :

يُشَبَّهونَ ملوكاً في تَجَلَّتِهِمْ      وطُولِ أُنْضِيَةِ الأَعناقِ واللِّمَمِ

يروى أيضاً على : "يشبهون قريشاً في تجلتهم"<sup>٣٣</sup> . وعلى الرواية الأولى رواها ابن بري<sup>٣٤</sup> وعلي بن حمزة البصري<sup>٣٥</sup> وغيرهما، ولم يأتوا على ذكر الرواية الثانية<sup>٣٦</sup> . وصرف الرواية إلى قريش أكثر احتمالاً من صرفها عنهم لمكانتهم في الإسلام ، و لأن صاحب البيت شاعر أموي أيضاً<sup>٣٧</sup> ، وهنا تكون الرواية الثانية هي مظنة الوضع ؛ وربما وضعها رواة من قريش بدافع العصبية ، وقد غمزت قريش بمثل ذلك في بعض الأحيان<sup>٣٨</sup> . وأياً تكون الرواية الصحيحة ، ففي الثانية صرف لها عن الأولى لدافع ما كالعصبية مثلاً .

"وأنشد أبو عبيدة لامرأة من خنعم عشقت رجلاً من عقيل"<sup>٣٩</sup> :

ليت سِمَاكِتًا يَحَارُ رَبَابُهُ      يُقَادُ إِلَى أَهْلِ الغُضَى بِزِمَامِ

<sup>٣٢</sup> شاعر أموي من تميم. اشترك في حروب خراسان، وله مرث في إخوته الثلاثة الذين ماتوا فيها. له شعر في الهجاء، وأراجيز في الصيد. وقد قرظ الأصمعي وغيره شعره. (عبد الرحمن ، عفيف ، معجم الشعراء ، ط ١ ، دار المناهل ، بيروت ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ ، ص ١٢٥)

<sup>٣٣</sup> المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، الكامل ، ط ١ ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٠٨هـ ، ١/٥٧ .

<sup>٣٤</sup> هو عبد الله بن بَرِي (٤٩٩هـ - ٥٨٢هـ) من علماء العربية النابيين. مقدسي الأصل، ولد ونشأ وتوفي بمصر، وقيل ولد بدمشق. ولي رئاسة الديوان المصري. من تصانيفه: "حواش على صحاح الجوهري"، (الزركلي، خير الدين، معجم الأعلام، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ٧٣/٤ - ٧٤). وهو أحد الكتب الخمسة التي اعتمد عليها واستوعبها ابن منظور في معجمه: لسان العرب.

<sup>٣٥</sup> لغوي من العلماء بالأدب، توفي عام ٣٧٥هـ. من كتبه: "التهيئات على أغاليط الرواة". (السابق، ٤/٢٨٣).

<sup>٣٦</sup> ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار المعارف ، مصر، دت ، مادة "نضا".

<sup>٣٧</sup> عبد الرحمن ، عفيف ، معجم الشعراء ، ص ١٢٥ .

<sup>٣٨</sup> الجمحي ، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، جدة ،

١٩٨٠م ، ص ٢١٥ .

<sup>٣٩</sup> المرزباني ، الموشح ، ص ٢٤ .

فيشرب منه جحوشٌ ويشيمُهُ  
بعيني قَطاميٍّ أغرَّ يَماني

وللبيت رواية أخرى على : "أغرَّ شامي" <sup>٤٠</sup>. فهل العصبية وراء إحدى الروايتين ؟ وإذا كان ذلك كذلك فأى منهما هي الأصل الذي تم تغييره ؟ أم أن رواية اللسان جاءت لإصلاح ما في البيت من عيب الإكفاء ؟

وقال الوليد بن عقبة في مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة  
قتيلُ التَّجِيبِيِّ الذي جاء من مصر

والتَّجِيبِيُّ هو كنانة بن بشر التَّجِيبِي قاتل عثمان <sup>٤١</sup>. وفي الكامل <sup>٤٢</sup> والصحاح للجوهري <sup>٤٣</sup>: "قتيل التَّجِيبِي". والتَّجِيبِي: هو ابن ملجم قاتل علي كرم الله وجهه نسبة إلى "تجوب" قبيلة من حمير. غير أن الجوهري نسب البيت إلى الكميت. قال ابن بري مصححاً رواية الجوهري: "البيت للوليد بن عقبة، وليس للكميت كما ذكر، وصواب إنشاده: "قتيل التَّجِيبِي"... وإنما غلطه في ذلك أنه ظن أن الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم، فظن أنه في علي رضي الله عنه، فقال: "التَّجِيبِي" بالواو، وإنما الثلاثة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، لأن الوليد رثى بهذا الشعر عثمان بن عفان رضي الله عنه" <sup>٤٤</sup>. ولكن ابن بري لا يلتفت إلى نسبة الجوهري البيت إلى الكميت ودلالاتها، وذلك أن نسبة البيت إلى الوليد بن عقبة تقتضي بالضرورة أن يكون البيت في عثمان لا في علي، لصلة الوليد بعثمان، وعداوته لعلي، قبل

<sup>٤٠</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة "قطم".

<sup>٤١</sup> السابق، مادة "جوب".

<sup>٤٢</sup> المبرد، الكامل، ٣٣/٢. ولكن في النشرة التي حققها أبو الفضل إبراهيم، والصادرة عن دار نهضة مصر في القاهرة، د.ت، وردت الرواية على: "التَّجِيبِي"، (ج٣، ص٢٨)، ولكن المحقق أشار في الهامش إلى رواية "التَّجِيبِي" على أنها وردت في إحدى نسخ الكتاب. والشعر في كلتا النشرتين منسوب إلى الوليد بن عقبة في عثمان.

<sup>٤٣</sup> ابن منظور، لسان العرب، "جوب".

<sup>٤٤</sup> السابق، مادة "جوب".

مقتل عثمان، حين أمر علي بحده على شرب الخمر وأهانته<sup>٤٥</sup>، ثم بعد مقتل عثمان، وله في ذلك شعر ينال به منه ومن بني هاشم ويتهمهم بالعدو،<sup>٤٦</sup> وقد رثى عثماناً وحرّض معاوية على الأخذ بثأره.<sup>٤٧</sup> ولهذا فإن جعل البيت في علي يقتضي صرف البيت عن الوليد بالضرورة أو عن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان، وكان قد نُسب الشعر (وهو بيتان) إليها أيضاً،<sup>٤٨</sup> والحاقه بمن يليق به أن يقوله، ولا أجدر بذلك من الكميت. وقد بحثت في ديوان الكميت عن هذين البيتين فلم أعرّس لهما على أثر.<sup>٤٩</sup> وإذا افترضنا أن الجوهرى قد غلط فظن أن البيت في رثاء علي، للسبب الذي ذكره ابن بري، فكيف غلط أيضاً في نسبة البيت للكميت؟ فإذا لم يكن ذلك من قبيل السهو في الحالين، فالأرجح أن تكون هذه الرواية من صنع الشيعة، وأن الجوهرى خُدع بها، أو مال إليها فأثبتها، وبخاصة أنني وجدت في سيرته ما يكشف عن ميوله لآل البيت كما في قوله<sup>٥٠</sup>:

رأيت فتى أشقراً أزرقاً      قليل الدماغ كثير الفضول

يفضّل من حُمّيه دائماً      يزيد بن هندٍ على ابن البتول

فعل ذلك لذلك.

وتطالعنا روايات أخرى لا نعرف وجه الحق فيها. فهل مثلاً رواية بيت المثنى العبدى<sup>٥١</sup>:

إلى عمرو ومن عمرو أتني      أخي النجّات والحلم الرّصين

<sup>٤٥</sup> المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بعناية يوسف البقاعي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ٤٨٧/٢-٤٨٨.

<sup>٤٦</sup> السابق، ٤٨٧/٢-٤٨٨، ٤٩٤.

<sup>٤٧</sup> الزركلي، الأعلام، ١٢٢/٨.

<sup>٤٨</sup> المسعودي، مروج الذهب، ٤٩٤/٢.

<sup>٤٩</sup> انظر: ابن زيد، الكميت، ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفى، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠.

<sup>٥٠</sup> الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، تحقيق د.س. مرغوليوث، سلسلة جب التذكارية، ليدن ولندن، ١٩٠٩: ٢٦٩  
<sup>٥١</sup> المثنى، عائذ بن محصن العبدى: ديوان شعر المثنى، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفى، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، الشركة المصرية للطباعة، مصر، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص ٢٠٩.

على : إلى عمرو بن حمدان أبيني...<sup>٥٢</sup> من هذا القبيل ؟ أي أرادت أن تصرف الخطاب إلى هذا الرجل ، الذي لا نعرف عنه شيئاً ، أم وراءها نوع من السهو أو تداخل النصوص ؟ ومع غرابة هذه الرواية فقد حرص الرواة على نقلها إلينا ، دون تعريف بهذا الرجل ، لأنهم بكل بساطة قد لا يعرفون عنه شيئاً . ويقول الأعشى<sup>٥٣</sup> :

وأدفع عن أعراضكم وأعيبركم  
لساناً كمقراض الخفاجي ملحبا

ولكننا لا نعرف فيما إذا كانت نسبة المقراض الحاد إلى قبيلة خفاجة أو إلى رجل منها بعينه يحمل في طياته المدح أو الذم أو لا شيء من هذا أو ذاك ، ولو علمنا لكان من الممكن أن نتلمس الدافع المناسب وراء الرواية الثانية التي تنسب المقراض إلى التهامي (الحداد) : " كمقراض التهامي " <sup>٥٤</sup> .

وبالجملة فإن أية رواية بديلة من هذا النوع يذكر فيها رهط أو قبيلة أخرى غير التي في الرواية الأولى مدعاة للوقوف عندها . وكذلك هي أسماء الأفراد . ولكن ينبغي توخي الحذر من ألا يكون الاسم الثاني في إحدى الروايتين من أسماء الأول ، كما في شعر لأبي البرج القاسم بن حنبل المرّي<sup>٥٥</sup> في زُفر بن أبي هاشم يقول فيه :

أرى الخلان بعد أبي غمير :  
بحجرٍ في لقائهم جفاء

<sup>٥٢</sup> السابق ، ص ٢٠٩ .

<sup>٥٣</sup> الأعشى ، ميمون بن قيس ، ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق محمد محمد حسين ، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٦٨ م ، ص ١٥٣ .

<sup>٥٤</sup> ابن منظور ، لسان العرب ، مادة "نهم" .

<sup>٥٥</sup> شاعر إسلامي . انظر : المرزباني ، معجم الشعراء ، صححه وعلق عليه ف . كرنكو ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، ص ١٩٢ - الهامش .

وهذه رواية الجاحظ<sup>٥٦</sup> . وهو يروي في موضع آخر بقوله: " بعد أبي حبيب " <sup>٥٧</sup> ، وأبو حبيب كنية زفر ، وليس اسماً آخر غيره. ولكننا لا نستطيع أن نكون على بينة من هذا الأمر دائماً؛ يقول الأعشى مثلاً<sup>٥٨</sup>:

نَهَارُ شَرَاخِيلَ بْنِ طُودٍ يَرِينِي      وَلَيْلُ أَبِي لَيْلَى أَمْرٌ وَأَعْلَقُ

فهل شراخيل بن طود وأبو ليلى هنا هما نفساهما شراخيل بن قيس وأبو عيسى في الرواية الأخرى لهذا البيت وهي<sup>٥٩</sup>:

نهار شراخيل بن قيس يريني      وليل أبي عيسى أمر وأعلق

أو هما مختلفان أو أحدهما مختلف والآخر متفق؟

٢- في أسماء الأماكن والبقاع / الإلحاق الجغرافي :

ولعل من أمثله في الشعر الجاهلي قول الأعشى<sup>٦٠</sup>:

منعتُ قِياسُ الماسِخِيَّةِ رأسَهُ      بسِهامٍ يترَبُّ أو سِهامِ بلادِ

إذ نجد رواية أخرى للبيت على النحو الآتي<sup>٦١</sup>:

منعتُ قِياسُ الآخِنِيَّةِ رأسَهُ      بسِهامٍ يثربُ أو سِهامِ الوادي

---

<sup>٥٦</sup> الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ٥/٢ .

<sup>٥٧</sup> ورواية البيت في معجم الشعراء للمرزباني، ص ١٩٢ ، نقلا عن حماسة أبي تمام كما يقول:

أرى الخلان بعد أبي حبيب      بحجرٍ في جنابهم جفاءً

<sup>٥٨</sup> الأعشى ، ديوان الأعشى الكبير ، ص ٢٥٧ .

<sup>٥٩</sup> ابن منظور ، لسان العرب ، "علق" .

<sup>٦٠</sup> الأعشى ، ديوان الأعشى الكبير ، ص ١٦٧ .

<sup>٦١</sup> ابن منظور ، لسان العرب ، مادة "أخن" .



ففي إضافة قياس الماسخية (وهي الأقواس نسبة إلى ماسخة رجل من الأزدي ومساختهم عُمان) في صدر البيت إلى "الآخنية" (وهي القسي أيضاً ، من إضافة الشيء إلى نفسه ، وهو أسلوب معروف في الشعر الجاهلي) يتهياً صرف السهام في عجز البيت من يثرب وبلاد ( وهما موضعان دون اليمامة مشهوران بالسهام الجيدة) إلى يثرب ووادي القرى في شمال يثرب . وقد عرفت يثرب - مثل يثرب وبلاد - بالسهام الجيدة أيضاً<sup>٦٢</sup> . وحُكم وادي القرى حكم يثرب في خصوصته وكثرة شجره وفي قطانه من اليهود الذين برعوا في صناعة الأسلحة ، فلا غرابة أن تنسب إليه السهام . فإن صح هذا الظن ، فقد يكون هذا التغيير نوعاً من تغيير الانتماء الجغرافي للقسي والسهام ، ونقله من العروض إلى شمال الحجاز على أساس من الهوى وعصبيّة المكان أو الإقليم وأهله . وقد يقال إن في البيت تصحيحاً في قراءة "يُتْرَب" ، وهذا محتمل جداً ، ولكن ما بال "بلاد" و "الواد" ؟ وقبلهما " الماسخية" و"الآخنية"؟ فإن توالي التغييرات هي التي دفعتنا إلى اقتراح هذا الاحتمال . ومع ذلك فليس هناك مجال للقطع بقصدية التغيير ، ولا حتى لترجيحه كاحتمال على احتمال التصحيف والتحرير .

وقد تتوالى الاختلافات في أبيات متتابعة ، كما في معلقة ليبيد ، في مقطع رحلة الطعائن الذي تناوبت فيه أسماء الأمكنة والمواضع ، كما تعددت فيه الروايات ، على نحو أربك شراح الشعر لما بين هذه المواضع من تباعد . يقول ليبيد<sup>٦٣</sup> :

مُرِيَّةٌ حَلَّتْ بِقَيْدٍ وَجَاوَرَتْ      أَهْلَ الْحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا

بِمَشَارِقِ الْجِبَلِينَ أَوْ بِمُحَجَّرٍ      فَتَضَمَّنَتْهَا فَرْدَةٌ فَرُخَامُهَا

و"فيد" فلاة واسعة بين أسد وطيء<sup>٦٤</sup> قرب جبلي طيء : أجأ وسلمى<sup>٦٥</sup> بينها وبين الحجاز مسيرة ثلاثة عشر يوماً<sup>٦٦</sup> . ولذلك أنكروا بعضهم هذه الرواية ، والرواية الصحيحة عنده " وجاورت أهل

<sup>٦٢</sup> الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، ٤٣٠/٥ .

<sup>٦٣</sup> العامري ، ليبيد بن أبي ربيعة : ديوان ليبيد ، تحقيق إحسان عباس ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ١٩٦٢ م ، ص ٣٠١ .

الجبال " . وقال : " إنما أراد بالجبال جبلي أجأ وسلمى ... ومن الحجة للجبال لقوله : " بمشارك الجبلين أو بمحجر "٦٧ . وعلق إحسان عباس على البيت بقوله : " وفي بعض روايات البكري في معجمه : وجاورت أهل العراق ، وهو أصح بحسب هذا التحديد } يعني أصح من رواية " وجاورت أهل الحجاز " } ، لقوله في البيت التالي : بمشارك الجبلين أي جبلي طيء ، وهذا مجاور للعراق لا للحجاز ؛ قلت : ولكي يخرج بعض المفسرين من هذا الإشكال زعم أنها تتردد بين المكانين فهي تكون في فيد مرة ، وتجاور أهل الحجاز مرة "٦٨ . ويستمر هذا التنازع بين المكانين (في جوار العراق أو في جوار الحجاز) في البيت الذي يلي البيتين السابقين :

فَصَوَاتِقُ إِنْ أَيْمَنْتَ فَمَظَنَّةٌ      مِنْهَا وَحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طَلْحَامُهَا

ف"صواتق" : اسم جبل بالحجاز قرب مكة لهذيل<sup>٦٩</sup> ، وهذا حجة لمن روى : " وجاورت أهل الحجاز " . وفي معجم ما استعجم للبكري أنه بلد باليمن<sup>٧٠</sup> . وقيل : هو موضع ، بدون تحديد<sup>٧١</sup> . لكن ثمة رواية أخرى على " فصعائد" بدلاً من " فصواتق"<sup>٧٢</sup> . وصعائد : " جبل ببلاد بني عقيل"<sup>٧٣</sup> " وهو أقرب إلى التحديد الأول"<sup>٧٤</sup> ، أي بحسب رواية " وجاورت أهل العراق " ، أو

<sup>٦٤</sup> السابق ، ص ٣٠١ .

<sup>٦٥</sup> ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٠ م ، ص ٥٣٤ .

<sup>٦٦</sup> السابق ، ص ٥٣٤ .

<sup>٦٧</sup> السابق ، ص ٥٣٤ .

<sup>٦٨</sup> العامري ، الديوان ، ص ٣٠٢ .

<sup>٦٩</sup> الحموي ، معجم البلدان ، ٤٣٢/٣ .

<sup>٧٠</sup> البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م ، ص ٨٤٦ .

<sup>٧١</sup> ابن الأنباري ، شرح القصائد السبع ، ص ٥٣٥ ؛ القرشي ، أبو زيد محمد بن الخطاب ، جمهرة أشعار العرب ، تحقيق علي محمد الجاوي ، ط ١ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ، ص ٢٩٧ .

<sup>٧٢</sup> ابن الأنباري ، شرح القصائد السبع ، ص ٥٣٥ .

<sup>٧٣</sup> العامري ، الديوان ، ص ٣٠٢ .

<sup>٧٤</sup> السابق ، ص ٣٠٢ .

رواية " وجاورت أهل الجبال " . و"الوحاف" و"القهر" موضعان "مقاربان. قال إحسان عباس:  
" ولعلهما في ديار بني عقيل أيضاً"<sup>٧٥</sup>. فهل في وسعنا بعد هذا أن ننكر رواية "أهل الحجاز" في  
البيت الأول أعلاه ، كما أنكرها بعض الرواة<sup>٧٦</sup>، وننكر رواية " فصائق " - في البيت الثالث -  
وأن نفكر بمجرد احتمال وجود طرف ما في زمن ما وراء هذه الرواية ، أراد أن يكون للحجاز ذكر  
في المعلقة مدفوعاً بعصية الإقليم، بالقدر أو في الوقت الذي نفرد فيه حيناً مناسباً لاحتمالات  
أخرى ؟

ولنختتم بقول الأعشى في قصر ريمان<sup>٧٧</sup>:

يا من يرى ريمانَ أمسى خاوياً خرباً كعابه

فصاحب الإكليل يجعل البيت في قصر ريدان<sup>٧٨</sup>:

يا من رأى ريدانَ أمسى خاوياً خرباً كعابه

ثم يقول : "وقال أبو نصر : هذا الشعر لعلقمة بن ذي جَدَن"<sup>٧٩</sup>. وفي موضع آخر يجعل البيت في  
قصر بينون منسوباً إلى علقمة بن ذي جَدَن أيضاً بحسب رواية أبي نصر<sup>٨٠</sup> :

يا من رأى بينونَ أمسى خاوياً خرباً كعابه

<sup>٧٥</sup> السابق، ص ٣٠٢.

<sup>٧٦</sup> ابن الأنباري ، شرح القصائد السبع ، ص ٣٠١.

<sup>٧٧</sup> الأعشى ، ديوان الأعشى الكبير ، ص ٣٢٥.

<sup>٧٨</sup> الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد ، الإكليل ، تحقيق محمد بن علي الأكوخ الخوالي ، بلا مكان طبع ،  
د.ت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ٧٧/٨ .

<sup>٧٩</sup> السابق، ٧٧/٨ . وعلقمة هذا هو علقمة ذو جَدَن الهمداني، شاعر إسلامي.(عبد الرحمن، غفيف، معجم

الشعراء، ص ١٦٩)

<sup>٨٠</sup> الهمداني، الإكليل، ١١٤/٨ .

إن الحاجة إلى الشاهد الشعري التاريخي (على غرار الشاهد اللغوي عند اللغويين) الذي يتغنى بماضي هذه القصور اليمينية ، ويأسى لحاضرها ، تحت وطأة الإحساس بالحماسة إلى حد العصية لليمن ، هي وراء انتقال هذا البيت من قصر إلى قصر ، أو العكس ، بقلم المؤلف نفسه في الكتاب نفسه ، وهي وراء نقل نسبة البيت في المثال الثاني والثالث من الأعشى إلى الشاعر اليمني علقمة بن ذي جدن .

٣- في مفردات أخرى طلباً للشاهد اللغوي / الإلحاق بالقاعدة اللغوية :

يتدخل الرواة في الجانب اللغوي والصياغي للبيت أحياناً لأحد أمرين : الأول لإخلاء البيت من عيب لغوي أو عروضي وقع فيه الشاعر ، يخالف القواعد العامة لهذين العلمين المتفق عليها أو تلك التي يدين بها فريق دون آخر . وهذا النوع من التغيير لغايات التحسين لا يدخل في نطاق هذا البحث . والأمر الثاني - وهو الذي يتفق مع مشاغل البحث الحالي - فهو التغيير الذي يهدف إلى الانتصار للمذهب اللغوي للراوي ، عن طريق تغيير الرواية الأصلية الصحيحة وتقديم رواية أخرى تخدم المذهب تحت وطأة التعصب العلمي والمدرسي . وللتمثيل على هذا الأمر قد يكون كافياً الوقوف عند أبي العباس المبرد الذي عرف بعدم الالتزام أحياناً بالرواية ، مع أن الالتزام بها أولى - كما رد عليه ابن جني في إحدى المناسبات - وكان المبرد قد ردّ روايات بعينها فقال ابن جني : "واعترض أبي العباس ... إنما هو رد للرواية وتحكم على السماع بالشهوة ، مجردة من النصفة<sup>١</sup> . وها هو علي بن حمزة البصري يتعقب المبرد في كتابه الكامل وينبه على أغلاطه

<sup>١</sup> ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ

ومغالطاته فيقف عند ثلاثة أبيات رواها المبرد شواهد على قصر الممدود وهي للنمر بن تولب <sup>٨٢</sup> ، وابن الصعق <sup>٨٣</sup> ، والطرمح <sup>٨٤</sup> - على الترتيب - :

- يَسْرُ الْفَتَى طَوْلاً السَّلَامَةَ وَالْبَقَا      فكيف ترى طَوَلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

- فزَعَمَ لِتَمْرِينِ السِّيَاطِ وَأَنْتُمْ      يُشَنُّ عَلَيْكُمْ بِالْفِنَا كُلَّ مَرْبَعٍ

- وَأَخْرَجَ أُمَّهُ لِسَوَاسِ سَلْمَى      لمَعْفُورِ الضَّرَا ضَرِمِ الْجَنِينِ

فيقول : " فأول ذلك تغيير رواية الثلاثة الأبيات ... فأما بيت النمر فروايته : طول السلامة والغنى ؛ وأما رواية بيت ابن الصعق فروايته : بالقنا ؛ وأما بيت الطرمح فالرواية فيه : لمعفور الضنا " ثم يتابع معلقاً : " وهذا من فعل أبي العباس غير مستنكر ، لأنه ربما ركب المذهب الذي يخالف فيه أهل العربية واحتاج إلى نصرته فغير له الشعر واحتج به " <sup>٨٥</sup> .

٤ - في المعاني والصور: الإلحاق المعنوي والصوري :

إن كل رواية أخرى تحمل تغييراً مقصوداً في معنى البيت أو في صورته الفنية يتجاوز حدود الإصلاح والتحسين ، إلى إحداث تغيير على البيت يباعد بينه وبين الأصل ، دون وجود شبهة معتبرة في الوقوع في سهو أو تصحيف أو تحريف - فإنه من هذا النوع الذي أطلقنا عليه مصطلح الإلحاق المعنوي أو الصوري ، لأن الرواية فيه صرفت المعنى في البيت إلى معنى آخر وألحقته به

<sup>٨٢</sup> شاعر جاهلي مخضرم أدرك الإسلام وأسلم. عاش جواداً سمحاً، وعُمِّرَ طويلاً حتى خرف. سماه أبو عمرو بن العلاء "الكيس" لجودة شعره وحسنه. (عبد الرحمن، معجم الشعراء، ص ٢٧١). وجمع نوري القيسي ما وجد من شعره في ديوان. (الزركلي، الأعلام، ٤٨/٨).

<sup>٨٣</sup> هو يزيد بن عمرو بن خويلد (الصعق) الكلابي. فارس جاهلي من الشعراء. (الزركلي، الأعلام، ١٨٥/٨)

<sup>٨٤</sup> هو الطرمح بن حكيم، شاعر إسلامي فحل. ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة فكان معلماً فيها. اعتقد مذهب الشراة من الأزارقة. وكان هجاءً، معاصراً للكميث وصديقاً له.

<sup>٨٥</sup> البصري ، أبو القاسم علي بن حمزة ، التنبيهات على أغاليط الرواة (مع كتاب المنقوص والممدود للفراء) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٦ م ، ص ١٠٩ .

. ومن هذا النوع ما تقبع خلفه عصبية مقيتة فنؤثر وصفه عندئذ بالتزييف، ومنه ما ليس كذلك ونؤثر نعتة بالتحوير ، ونماذجه كثيرة.

أ- روايات مغرصة : التزييف :

الزيف: الغش والباطل. "وزيف النقود: عملها مغشوشة"<sup>٨٦</sup>. ففي التزييف معنى الغش والكذب والخداع والتضليل والإيهام بالحق والصدق، شأن العملة المزيفة. فإذا أردنا أن نمثل لهذا الصرف أو الإلحاق المعنوي بدافع التزييف ، مما تستتر خلفه العصبية القبلية ، فلنسق هذه الرواية التي تذكر أن عامراً بن الطفيل حين أجاره رجلان من فزارة في يوم الرِّقم ، وهما جبار وخدام ، نهض إليه فوارس من بني فزارة ليقتلوه بتوجيه من عيينة بن حصن ، فطلب عامر من جبار وخدام أن يمنعه ففعلاً فقال يثني عليهما<sup>٨٧</sup>:

إذا خفتَ غدرًا في فزارة فاستجرْ      خِدامَ بنِ زيدٍ وابنَ عمِ خِدامِ

هما منعاني من عُيينةَ بعدما      أشار بمصقولِ عليّ حُسامِ

" قال هشام : أصبتها في كتاب حماد الراوية خلاف روايتنا " ، ثم ذكر ما أصابه فيه ، وهي خمسة أبيات هي<sup>٨٨</sup>:

إذا شئتَ أن تلقى المَناعةَ فاستجرْ      خِدامَ بنِ زيدٍ إن أجار خِدامُ

دعوتُ أبا الجبارِ أختصُّ مالكَأ      ولم يكِ قِدمًا من أجزتِ يُضامُ

فقام أبو الجبار يهتز للندى      كما اهتر عَضْبُ الشفرتينِ حُسامُ

وكتتَ سنامًا من فزارة نامياً      وفي كل قومِ ذروةً وسنامُ

<sup>٨٦</sup> مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة "زيف".

<sup>٨٧</sup> الضبي، المفضل، المفضليات، تحقيق كارلوس يعقوب ليال، المطبعة اليسوعية، بيروت، ١٩٢٠م، ص ٣٣

<sup>٨٨</sup> السابق، ص ٣٣.

فنكّلت عني الشارعين ولم أكن مخافة شرّ الشارعين أناّم

وهذه الأبيات جيدة السند، وهي في ديوانه من رواية أبي بكر محمد الأنباري عن ثعلب<sup>٨٩</sup>، وأوردها أبو محمد الأنباري في المفضليات، وساق خبر يوم الرقم الذي قيلت فيه، وعنه نقلنا الخبر والشعر أعلاه. وأبو الجبار هو مالك بن حمار، واسمه في المفضليات جبار. ومع ذلك، فلعلنا لا نجانب الصواب إذا ظننا أنها مصنوعة صنعتها فزارة أو صنعها ولد جبار بن مالك خاصة. فالأبيات ترفع عن فزارة صفة الغدر في البيت الأول، ثم تحرص على ذكر اسم جبار أو أبي الجبار غير مرة، وكان اسمه الصريح غائباً في الرواية الأولى، ثم هي تمدحه فتلح في مدحه إلحاحاً في الأبيات التالية. ويكون من جملة ما تمدحه به الندى والكرم وهو مقال في غير مقامه، ثم تبالغ في تصوير خوف عامر الذي كان يمنعه من النوم، على غرار خوف النابغة الذبياني من النعمان. وفي المحصلة فإن الأبيات تغرق في التفاصيل على غير العادة في مثل هذه المواقف، وتصور عامراً وكأنه أحد شعراء المديح يقف أمام ممدوحه.

لقد أشار ابن سلام الجمحي إلى فعل القبائل التي استقلت أشعارها فقالت على السنة شعرائها<sup>٩٠</sup>. ولكن حتى القبيلة ذات الشعر الكثير قد تجد نفسها - فيما يبدو - في حاجة إلى أن تلجأ إلى شعر قيل فيها مدحا أو ذماً فتتصرف فيه بعض التصرف بالزيادة والنقص والتغيير إن استطاعت، ما دام الهدف في نهاية الأمر يصب في مصلحة القبيلة كما نقول اليوم. ولكن من حق الشك أن يسلك سبيلاً أخرى موصلة إلى حماد، فليس يبعد، في ضوء ما اتهم به، أن يكون وراء هذه الأبيات يتقرب بها إلى فزارة أو إلى بيت من بيوتها. وأياً كان الأمر فإن الأهم هنا هو واقعة الصرف والإلحاق أو واقعة التزييف نفسها لا من وراءها.

وللعصية المذهبية نصيب من هذا التزييف. ومن أجود الأمثلة على هذا التزييف وأدقها تمثيلاً لمعناه مثال أشار إليه طه حسين<sup>٩١</sup>، وهو أبيات قالها الحطيئة دفاعاً عن الوليد بن عقبة ومواساة له

<sup>٨٩</sup> ابن الطفيل، عامر، ديوان عامر بن الطفيل، بعناية كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م،

ص ١٢٦.

<sup>٩٠</sup> الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص ٤٦

<sup>٩١</sup> حسين، طه، حديث الأربعاء، ط ١٠، دار المعارف، مصر، دت، ١/١٣٥

بعد أن حدّث عثمان لشريه الخمر، مطلعها<sup>٩٢</sup>:

شهد الحطيئة يومَ يلقي ربّه  
أنّ الوليدَ أحقُّ بالعدرِ

ومنها قوله :

خلعوا عنانك إذ جريت ولو  
خلوا عنانك لم تزل تجري

قال ابن الشجري : " قال المفضل : ومن الرواة من يزعم أنه إنما قال (ويورد آياتاً، منها قوله - وهي موضع الشاهد)<sup>٩٣</sup> :

شهد الحطيئة حين يلقي ربه  
أن الوليد أحق بالعدرِ

كفّوا عنانك إذ جريت ولو  
خلّوا عنانك لم تزل تجري

والرواية الأولى هي الصادقة ، أما الرواية الثانية فهي من اختلافات الشيعة<sup>٩٤</sup> . وفي الرواية الثانية المزيفة يتضح مدى الدهاء والخفة في معالجة هذين البيتين والعبث بمعناهما ونقضه؛ فبنقل نقطة الذال إلى العين في قافية البيت الأول تحول معنى البيت من المدح إلى القدر . وكذلك الأمر باستبدال لفظة بلطفة في البيت الثاني . فقوله: "خلعوا عنانك" - في الرواية الأولى - يعني أنهم حالوا بينك وبين المضي في طريق المجد والعلو ، أما "كفّوا عنانك" - في الرواية الثانية - فتعني أنهم أوقفوك عند حدك دون الاسترسال في طريق الغي والضلال .

ب- روايات غير مغرّضة : التحوير :

<sup>٩٢</sup> الحطيئة ، جرول بن أوس ، ديوان الحطيئة ، تحقيق نعمان محمد أمين طه ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

<sup>٩٣</sup> ابن الشجري ، هبة الله بن علي أبو السعادات العلوي ، مختارات شعراء العرب ، تحقيق علي محمد البحراوي ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، ص ٥٥٠-٥٥١ .

<sup>٩٤</sup> حسين ، طه ، حديث الأربعاء، ١/١٣٥؛ الجندي، درويش، الحطيئة، ط ١، مكتبة نهضة مصر، مصر، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .



هذه الروايات وإن كانت غير مغرضة ، فهي لا تمثل الأصل ولا تلتزم به كما ينبغي ، بما تحدّثه عليه من التغيير . وهي قريبة أحياناً في بعض أشكالها مما يراد به التحسين وقد تلتبس به ، ولكنها على الإجمال تجاوز حدوده . ومصطلح "التحوير" يحمل ، أولاً ، معنى التحسين ؛ ففي اللغة : حَوَّرَ الدقيق أو الثوب : بيّضه . وحَوَّرَ الأديم : صبغه بحمرة . والحَوَّر : شيء يتخذ من الرصاص المُحَرَّقَ تطلي به المرأة وجهها للزينة .<sup>٩٥</sup> والحَوَّر : شدّة بياض بياض العين مع شدة سواد سوادها .<sup>٩٦</sup> وهي صفة حسن في العين . ويحمل ، ثانياً ، معنى التغيير . نقول : حَوَّرَ فلان الكلامَ : غيَّره .<sup>٩٧</sup> فالمصطلح على هذا مناسب للدلالة على هذا الضرب من التغيير أو الصرف والإلحاق ، كما أسميناه . إن معظم التغيير الذي يلحق المعاني والصور هو من ضرب التحوير هذا ، وأشكاله كثيرة : فمنها - وهو الأكثر - ما يقع على أحد شطري البيت ، كله أو بعضه ، أو يصيب معظم ألفاظ البيت ؛ ثم منها ما يقدم معنى مغايراً للمعنى في رواية المتن ، أو مضاداً له ، ومنه ما ينتزع البيت من سياقه .

فمن النوع الذي يقدم معنى مغايراً قول عوف بن الأحوص<sup>٩٨</sup> :

ملوكٌ على أن التحية سُوِّقَتْ  
ألا ياهُمُ يوفى بها ونُدورُها

إذ يروى شطر البيت الثاني على : "كراسيهم يُسعى بها وصقورُها" . فأبي تباعد بين البيتين !

ومنه قول الشماخ<sup>٩٩</sup> :

وقَعن به من أول الليل وقعةً  
لدى مُلَقِحٍ من عُودِ مَرِّخٍ ومُنْتَجِحٍ

<sup>٩٥</sup> المعجم اللغوي ، المعجم الوسيط ، مادة "حور" .

<sup>٩٦</sup> السابق ، مادة "حور" .

<sup>٩٧</sup> السابق ، مادة "حور" . وأشار المعجم إلى أن هذه الدلالة محدثة .

<sup>٩٨</sup> الضبي ، المفضليات ، ص ٣٥٢ . والأحوص شاعر جاهلي من بني عامر ويُدعى الجزار ، والأحوص لقب أبيه ، وهو سيد قومه ، واسم أبيه ربيعة . (عبد الرحمن ، معجم الشعراء ، ص ٢٠٠) .

<sup>٩٩</sup> الشماخ ، الشماخ بن ضرار بن حرملة ، ديوان الشماخ ، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ م ، ص ٨٢ .

فقد روي صدر البيت على : "تركْتُ بها ليلاً طويلاً وسامراً"<sup>١٠٠</sup> . ويصف الميمني هذا الاختلاف بين الروایتين بغير الهين<sup>١٠١</sup> .

ومنه قول الحادرة<sup>١٠٢</sup> :

وإذا تنازعك الحديث رأيتها حسناً تبسُّمها لذيذ المكَرَع

فقد روي أيضاً<sup>١٠٣</sup> :

فكأن فاهها بعد أول رقدة ثَعَبُ برابية لذيذ المكَرَع

وكان منشد البيت لم يرتض نعت التيسم بأنه لذيذ المكَرَع ، فجعله نعتاً للماء الذي شبهه به ريقها . وقد اقتضى ذلك تغييراً كاملاً في جميع ألفاظ البيت تقريباً ، حتى بات كأنه بيت آخر كما يقول ناصر الدين الأسد<sup>١٠٤</sup> . وهذا التحوير - إن كانت نية صاحبه التحسين - فقد جاوز الحدود في العبث بأصل الرواية .

ومن هذا النوع السابق أيضاً ما يقدم صورة بدلاً من صورة ، كقول أوس ابن حجر<sup>١٠٥</sup> :

كأن جلودَ النُّمرِ جِيئَتْ عليهمُ إذا جَمَعوا بين الإناخة والحَبْسِ

<sup>١٠٠</sup> البصري ، التنبهات على أغاليط الرواة ، ص ١١١ .

<sup>١٠١</sup> السابق، ص ١١١ .

<sup>١٠٢</sup> الحادرة ، قطبة بن أوس، ديوان شعر الحادرة ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص

<sup>١٠٣</sup> السابق، ص ٤٦ .

<sup>١٠٤</sup> السابق، ص ٤٦ .

<sup>١٠٥</sup> ابن حجر ، أوس بن حجر ، ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ،

الذي روي شطره الأول هكذا : " كَأَنَّ نَعَامَ السَّيِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ " <sup>١٠٦</sup> ، ففعل هذا التحوير ليس من قبيل السهو أو التحريف غير الواعي، ثم هو لا يندرج تحت مسمى التحسين والإصلاح .

ومن النوع الثاني من التحوير الذي يقدم رواية مضادة في المعنى أو الصورة الفنية قول لبيد بن أبي ربيعة <sup>١٠٧</sup> :

فاقطع لُبَانَةً من تَعَرَّضَ وَصَلُهُ      ولشراً واصلِ خُلَّةً صَرَامُهَا

الذي يروى على " ولخير واصل ... " <sup>١٠٨</sup> . وعلق إحسان عباس على ذلك بقوله : " ورواية البيت على التضاد من التغييرات السيئة ، فالشاعر لا بد من أن يكون في هذا الموطن قال شيئاً واحداً وعناه ؛ فإذا قلت ولشراً واصل ... فالمعنى ينصرف إلى صديقك ، وإذا قلت ولخير واصل خلة فالمعنى ينصرف إليك . فعلى الاعتبار الأول يكون المعنى : وشر الناس من يتجنى ليقطع مودتك فاقطع مودته ، وعلى الاعتبار الثاني يكون المعنى : وخير الأصدقاء من إذا علم من صديقه أن حاجته تنقل عليه قطع حوائجه منه " <sup>١٠٩</sup> . لقد هدفت الرواية الثانية إلى قلب المعنى في الرواية الأصلية ، إما لأنه وافق حاجة في نفس صاحبها ، أو لأنه اعتقد أنه الأصوب ، على اعتبار أنه جاء في سياق مطالبة الشاعر لنفسه بقطع وصال صاحبه ، فكان من غير المفهوم أو المقبول عند صاحب هذه الرواية أن يدرج الشاعر نفسه في قائمة شر الواصلين .

ومن هذا النوع الثاني الذي يقدم رواية مضادة في المعنى أيضاً قول أبي ذؤيب <sup>١١٠</sup> :

عصاني إليها القلبُ إني لأُمرُّه      سميعٌ فما أدري أُرشدُ طلابُهَا

<sup>١٠٦</sup> السابق، ص ٥١ .

<sup>١٠٧</sup> العامري ، ديوان لبيد، ص ٣٠٣ .

<sup>١٠٨</sup> ابن منظور ، لسان العرب ، مادة " صرم " .

<sup>١٠٩</sup> العامري ، ديوان لبيد، ص ٣٠٣ .

<sup>١١٠</sup> الهذلي ، أبو ذؤيب خويلد بن خالد ، ديوان الهذليين ، القسم الأدبي بدار الكتب المصرية ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٤٥ م ، ٧١/١ .

ورواه أبو عمرو "دعاني" مكان "عصاني".<sup>١١١</sup> وبين الروائيتين فرق . فالرواية الأولى تكشف عن الصراع الداخلي عند الشاعر في حين أن الثانية خالية من هذا الصراع . وبالعودة إلى القصيدة يتبين أن الرواية الأولى هي الموافقة لطبيعة التجربة الفنية والنفسية فيها . قال الراجزي فيما تمثنا ببعضه آنفأً (صفحة من البحث) : " وقد يغير العربي فيما يتمثله من الشعر كلمة بأخرى... قد أصابت هوى في نفسه... وذلك كقول أبي ذؤيب... " ثم يورد البيت المذكور أعلاه بحسب رواية أبي عمرو المشار إليها ، ثم يقول : " ولكن الأصمعي رواه على نقيض هذا المعنى فقال : " عصاني إليها القلب... ". وظاهر أن هذا التناقض في الرواية لا يكون من الشاعر ، وإنما هو تفاوت في الاستحسان لا غير ."<sup>١١٢</sup>

وثمة تحوير صوري يتمثل بتقديم صورة مضادة للصورة في الرواية الأصلية . مثال ذلك قول الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة<sup>١١٣</sup> :

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكمم وجاراتكمم غرثى يبتن حمانصا

يراقين من جوع خلال مخافة نجوم السماء الطالعات الشواخصا

فقد روي الشطر الثاني من البيت الثاني على : نجوم السماء العاتمات الغوامصا<sup>١١٤</sup> . وروي على : نجوم الشتاء العاتمات الغوامصا<sup>١١٥</sup> (وهنا على ما يبدو تصحيف لأن الروي الصاد). فالنجوم في الرواية الأولى طالعات مضيئات ، وفي الروائيتين الأخريين عاتمات ؛ وهي التي تظلم من الغبرة التي في السماء ، وذلك أيام الجذب<sup>١١٦</sup> وغوامص (وهي التي قل ضوءها من الغبرة) . وهكذا

<sup>١١١</sup> السابق، ٧١/١.

<sup>١١٢</sup> الراجزي ، تاريخ آداب العرب ، ٣٨٨/١

<sup>١١٣</sup> الأعشى ، ديوان الأعشى الكبير ، ص ١٨٥ . وعلقمة من أشرف قومه بني عامر ، وقد على قيصر ، وناظر عامر ابن الطفيل . وللحطيئة قصيدة في مدحه . أدرك الإسلام فأسلم ثم ارتد في أيام أبي بكر ، ثم عاد إلى الإسلام . ولاه عمر بن الخطاب حوران فنزلها إلى أن مات في نحو ٢٠ للهجرة . (الزركلي ، الأعلام ، ٤/٢٤٧).

<sup>١١٤</sup> الأعشى ، ديوان الأعشى ، دار الثقافة ، بيروت ، دت ، ص ١٠٠ .

<sup>١١٥</sup> ابن منظور ، لسان العرب ، مادة "عتم".

<sup>١١٦</sup> السابق، مادة "عتم".

فنحن أمام صورتين متضادتين تماماً . ونشك أن يكون "التحريف" هو المسؤول عن ذلك ، وبخاصة أن التغيير شمل ألفاظاً تشكل في مجموعها صورة متجانسة تقابل - في الرواية الأولى - صورة متجانسة ؛ ما قد يرجح قصدية التغيير المضاد .

أخيراً قد يصل الأمر في التحوير إلى ما يمكن تسميته "الانتزاع السياقي" ونعني به انتزاع البيت الشعري من سياقه بالكلمة وإدراجه في سياق جديد، كقول لبيد: <sup>١١٧</sup>

صادفن منها غرّة فأصبّنها      إن المنايا لا تطيشُ سهامها

والحديث هنا عن البقرة الوحشية، إذ يرويه سيويوه هذه الرواية الغريبة - على حد تعبير محقق الديوان - :

ولقد علمتُ لتأتين منيبي      إن المنايا لا تطيش سهامها

وهذه الرواية قد تكون سهواً محضاً ناشئاً عن التداخل بين النصوص أو عن شيء غيره. ولكي نحكم عليها ينبغي أن نكون على علم برواية صاحبها للأبيات التي سبقتها والتي تلتها. وعلى أي حال فهي في وضعها الحالي تحرر البيت من سياقه الحيواني والقصصي الخاص، وتطلقه بيتاً حكماً مفرداً قائماً بذاته ومستقلاً عن علاقته، ومنصرفاً إلى الحياة الإنسانية بشكل خاص، وقابلاً للتمثل به على حتم المنية.

وهكذا فنحن في بعض وجوه هذا الضرب من التحوير للبيت الشعري نطالع شكلاً من الإبداع تأسس على إبداع سابق (أي إبداعاً على إبداع)، لا على رواية راو لإبداع شاعر؛ وكأن التراث الشعري راح يشكل ميداناً أو مجالاً لحركة العقل والإبداع: فالشعراء يفيدون منه ويستوحون، وغير الشعراء من الرواة والمتلقين من الأعراب يمارسون عليه أحياناً ألواناً مختلفة من الإصلاح والتحسين، وأحياناً يتجاوزون حدود التحسين إلى مثل هذا الضرب الذي أطلقنا عليه اسم "التحوير".

الصرف والإلحاق الكلي /الإلحاق النصي :

تناولنا فيما مضى إلحاقات جزئية على مستوى البيت الواحد . ولكن لدينا إلحاقات أوسع تمددت على مساحة واسعة من النص الشعري، وذلك حين ينسب نصان متشابهان جداً إلى حد التتابع التام في بعض أجزائهما، إلى شاعرين اثنين. ولنمثل لهذه الظاهرة بثلاثة أمثلة :

المثال الأول : سينية امرئ القيس<sup>١١٨</sup> :

أماويّ هل لي عندكم من مُعَرَّسٍ      أم الصَّرَمَ تختارين بالوصل نياسٍ

التي تتداخل مع سينية بشر بن أبي خازم<sup>١١٩</sup> :

أمن دمنةٍ عاديّةٍ لم تأنّسٍ      بسِقْطِ اللّوى بين الكَثيبِ فعَسَعَسِ

وقد قام الدكتور أبو سويلم بالمقارنة بين النصين وانتهى إلى القول : " ونعتقد أن الثاني (يقصد بشراً) قد أفاد من النص الأول لا عن طريق هدم النص الأول وإعادة بنائه ، وإنما عن طريق استدعائه وتضمينه ونقله بما يشبه السرقة "<sup>١٢٠</sup>. غير أن بعض رواة الكوفة نسب القصيدة إلى بشر دون امرئ القيس<sup>١٢١</sup>. ولهذا الرأي وجاهته لثلاثة أسباب : الأول سبب عام وهو كثرة ما نسب امرئ القيس من شعر ليس له، بتصريح الرواة المحققين. وقد شك الأصمعي في غير قصيدة من قصائد ديوانه الذي رواه. والثاني أن التشابه الشديد بين القصيدتين يعزز افتراض أنهما في الأصل قصيدة واحدة ، وأن القصيدة الثانية منهما مجرد رواية أخرى للقصيدة الأولى من صنع الرواة . والثاني ، من حيث نسبة القصيدة لبشر دون امرئ القيس ، فإن المقارنة بين القصيدتين تبين أن

<sup>١١٨</sup> امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس وملحقاته ، دراسة وتحقيق أنور أبو سويلم و محمد الشوابكة ، ط ١ ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، دولة الإمارات العربية ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص ٥٢٤ .

<sup>١١٩</sup> الأسدي ، بشر بن أبي خازم ، ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق عزة حسن ، ط ٢ ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

<sup>١٢٠</sup> امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس وملحقاته ، ص ٩٩ .

<sup>١٢١</sup> السابق، ص ٩٩ .

قصيدة بشر أكثر اكتمالاً من ناحية البناء. فقد جاءت قصيدة امرئ القيس في ثلاثة عشر بيتاً موزعة على النحو الآتي :

مقدمة في النسب : ب - ١ - ٢ ( بيتان )

صورة الحمار الوحشي : ب - ٣ - ١٣ ( ١١ بيتاً )

في حين جاءت قصيدة بشر في اثنين وعشرين بيتاً موزعة على النحو الآتي :

مقدمة في النسب : ب - ١ - ٤ ( ٤ أبيات )

وصف الناقة : ب - ٥ - ٧ ( ٣ أبيات )

صورة الحمار الوحشي : ب - ٨ - ٢١ ( ١٤ بيتاً )

العودة إلى ذكر الناقة : ب - ٢٢ ( بيت واحد )

مما يعزز نسبة القصيدة إليه ، فضلاً عن أن بشراً في هذه القصيدة قد تناص مع بعض شعر امرئ القيس ، في معلقته ، كذكر بشر ل " سقط اللوى " في البيت الأول ، وكقوله في البيت الرابع :

سَراة الضحى حتى تجلّت عَمائتي      وقال صحابي أيُّ مبكى ومَحسِبِ

الذي يحيل شطره الثاني إلى بكاء امرئ القيس ولوم أصحابه له في مقدمة معلقته ، ويحيل شطره الأول إلى قوله في المعلقة أيضاً : " وما إن أرى عنك العماية تنجلي " وقوله أيضاً فيها : " تسلت عمایات الرجال عن الصبا " . ومع ذلك فإن قول الأصمعي : سمعت أبا العلاء يقول : رؤية بن العجاج أنشدني من هذه القصيدة أبياتاً "١٢٢" يجعلنا لا نستبعد أن يكون لامرئ القيس في الأصل سينية مشابهة وصلت أبيات قليلة منها فقط ، ثم لم يعرف الرواة الباقي فاستكملوه مع بعض التغيير من قصيدة بشر لاتفاق البحر والروي . أما حل معضلة التشابه بين القصيدتين بفكرة توارد الخواطر ، فغير مقبول طبعاً ، وهو هروب من المشكلة وليس محاولة جادة لحلها . وعلى هذا إما

أن الرواة استحدثوا القصيدة الثانية كلها وإما أنهم استحدثوا معظمها وألحقوها بامرئ القيس . وفي كلتا الحالتين نكون مع نموذج من نماذج الصرف والإلحاق الذي يتم على مستوى نص كامل .

والمثال الثاني : بائية امرئ القيس<sup>١٢٣</sup> ومطلعها :

خليليّ مُرّا بي على أمّ جُنْدُبٍ      نَقَضَ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

التي تتداخل مع بائية علقمة الفحل<sup>١٢٤</sup> :

ذهبتَ من الهجران في كلِّ مذهبٍ      ولم يكُ حقاً كلُّ هذا التجنّبِ

وقد تتبع أبو سويلم المتطابق والمتشابه بينهما بيتاً<sup>١٢٥</sup> . وقد ارتاب بصحة مناسبتهم المشهورة كثير من الدارسين ، من قدماء ومحدثين<sup>١٢٦</sup> . وإذ أتفق مع ما ساقوه من أسباب تضعف الخبر<sup>١٢٧</sup> ، فإنني أضيف إليها أن المنافسة بين الشعارين ينبغي بدهة ألا تجيز لأي منهما أن يكرر ما قاله الآخر ولو في بيت واحد ، فكيف وقد حدث هذا التكرار المطابق في أبيات عديدة ؟ فضلاً عن التكرار في أجزاء أبيات أخرى كثيرة معنى ومبنى ؟ ثم فضلاً عن التشابه بين بعض الأبيات في بائية علقمة وبعض ما جاء في القصيدة القافية لامرئ القيس<sup>١٢٨</sup> . والأرجح أن القصيدتين غير مرتبطتين بالمنافسة بين الشعارين ، ولكنهما - في الوقت نفسه - نسان أصيلاً ، وذلك لأسباب منها أن موقف كل من الشعارين من صاحبه وموقفها منه غير موقف الآخر وموقف صاحبه منه ، وقد ألم امرؤ القيس بما لم يلم به علقمة ، كوصفه لرحلة الطعائن ، وحديثه عن حمار الوحش مما خلت منه بائية علقمة ، فضلاً عن اختلاف الأمكنة في النصين . والذي نظنه - ولا نملك غير الظن - هو

<sup>١٢٣</sup> امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس وملحقاته ، ص ٣٦٢ .

<sup>١٢٤</sup> الفحل ، علقمة بن عبدة ، ديوان علقمة الفحل ، تحقيق لطفي الصقال ودربة الخطيب ، ط ١ ، دار الكتاب

العربي ، حلب ، سوريا ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، ص ٧٩ .

<sup>١٢٥</sup> امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس وملحقاته ، ص ٩١-٩٣ .

<sup>١٢٦</sup> إبراهيم، طه أحمد، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٩٣٧م ، ص ٢٥-٢٧ .

<sup>١٢٧</sup> السابق؛ ديوان علقمة الفحل، ص ٧-٨ .

<sup>١٢٨</sup> امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، ص ١٦٨ .



أن راوياً أو أكثر لحظوا ما في نص علقمة من شبه لنص امرئ القيس في الموضوعات - وقد يكون علقمة أيضاً قد أخذ عن امرئ القيس شيئاً وهو السابق في الزمان والمبرز في هذا المجال وصاحب أوليات فيه تبعه فيها كثير من الشعراء- فأضافوا عندئذ إلى نص علقمة أشياء من عند امرئ القيس ، كما هي ، وحوروا في أشياء ، حتى وصل النصان إلى هذا الحد من التشابه .

أما المثال الثالث فيدور حول القصيدة المشهورة التي مطلعها :

أفاطمَ لو شهدت بطن خَبْتٍ      وقد لاقى الهَزْبُ أخاكِ بِشِرا

والقصيدة أوردتها بديع الزمان الهمداني في "المقامة البشرية" ، ونسبها إلى بشر بن عوانة<sup>١٢٩</sup> . وهي من نظم الهمداني ، وبشر هذا اسم لشاعر وهمي من اختراع الهمداني<sup>١٣٠</sup> . ولكن ابن الشجري يورد القصيدة في أماليه منسوبة إلى بشر المذكور ظناً منه أنه شاعر جاهلي، ويقوم بشرحها وإعرابها<sup>١٣١</sup> ، ولعله أول من وقع في هذا الوهم. ثم تتوالى المصنفات من بعده تأخذ عنه أو عن مقامات الهمداني وتورد القصيدة كلها أو بعضها منسوبة إلى بشر هذا ، من مثل الحماسة البصرية والتذكرة السعدية والمثل السائر والصبح المنبي ونهاية الأرب<sup>١٣٢</sup> . وقد أشار أستاذنا مصطفى الشكعة إلى خطأ ابن الشجري هذا<sup>١٣٣</sup> . ولكن ما يهمنا هنا أن الشيخ محمد عبده في أثناء شرحه لمقامات الهمداني قال : " وقد نسب بعض الرواة هذه الأبيات لعمر بن معديكرب ، كتب بها إلى أخته كبشة . وكان اسم ابنة عمه لميس ، ويقول فيها :

تَظُنُّ لَمِيسُ أَنْ اللَّيْثَ مِثْلِي      وَأَقْوَى هِمَّةً وَأَشَدُّ صَبِرا

<sup>١٢٩</sup> الهمداني ، بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين ، مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمداني ، شرح الشيخ محمد عبده ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٨٩م ، ص ٢٤٧ .

<sup>١٣٠</sup> الزركلي ، الأعلام ، ٥٥/٢

<sup>١٣١</sup> ابن الشجري ، هبة الله بن علي أبو السعادات العلوي ، أمالي ابن الشجري ، تحقيق ودراسة محمود محمد الطناحي ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ٤٧٩/٢ .

<sup>١٣٢</sup> السابق ، ٤٧٩/٢ ، الهامش .

<sup>١٣٣</sup> الشكعة ، مصطفى ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٣٩٦ .

لقد خابت ظنونٌ لميسٍ فيه وأضحى البرُّ خالي منه صفراً

ومطلع القصيدة على زعم هؤلاء الرواة :

أكبشهُ لو شهدتِ بطنِ جُبِّ وقد لاقى الهزبر أخاك عمراً "

ثم يتابع قائلاً : " والصحيح أن الواقعتين مختلفتان ، فوقع بينهما الاشتباه وخلطتا إحداهما بالأخرى ، وقد حصل توارد الخاطر بين الشاعرين في بعض الأبيات فقط " ١٣٤ .

ولا نعرف أين اطلع الشيخ محمد عبده على هذا الخبر ، ولا نعرف ، من ثم ، شيئاً عن قصيدة عمرو التي وقع فيها توارد الخاطر بين الشاعرين في بعض الأبيات، كما يقول، إلا الأبيات الثلاثة التي أوردها، ولا نعرف عدد هذه الأبيات ، ولا فيما إذا كانت مثبتة بتمامها في المصدر الذي اطلع عليها الشيخ فيه أم لا، مثلما أن ديوان عمرو ، والمصادر التي نعرف لا تشير إلى هذه الأبيات التي يتحدث عنها الشيخ ، وقد أثبتتها كاملة محقق ديوان عمرو ضمن ما نسب إليه من شعر اعتماداً على تعليق الشيخ محمد عبده المجهول المصدر حتى الآن ١٣٥ .

والذي نظنه أن الهمداني أفاد في نسج خيوط مقامته البشرية أو استوحى بعض أحداثها من حادثة خيالية نسبت إلى الشاعر عمرو بن معديكرب مع ابنه المزعوم الخُزْرُ ، وقد أودعها هشام الكلبي في كتابه الذي تناول فيه أخبار عمرو ١٣٦ ، ثم لمح بعضهم هذا التشابه فقام بنسبة الشعر وقصته إلى عمرو بن معديكرب وألحقه به ، ثم أثبت اسم "كبشة" (وهو اسم حقيقي لأخت عمرو) "مكان" فاطمة" واختلق اسم لميس اسماً لحبيته ، واستبدل ببشر عمراً. وقد تم هذا بالقطع بعد انتشار مقامات الهمداني (٣٥٨هـ - ٣٩٨هـ) . وليس من المقنع لنا بعد ذلك أن يقال : إن نسبة الأبيات وقصتها إلى عمرو كانت من قبيل الخطأ والتوهم ، بسبب التشابه بين القصتين والقصيدتين ، كما قال محمد عبده ، وبسبب ورود اسم "خبث" وهي إحدى قرى زبيد ( وعمرو

١٣٤ الهمداني ، مقامات الهمداني (شرح محمد عبده)، ص ٢٥٠ .

١٣٥ الزبيدي ، عمرو بن معديكرب ، شعر عمرو بن معديكرب ، تحقيق مطاع الطرايشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ص ١٩٠ .

١٣٦ السابق ، ص ٣٠ .

من زبيد) كما ذهب محمد محيي الدين<sup>١٣٧</sup>. وسبب وقوع العالمين الجليلين في هذا الخطأ عدم تبيينهما أصلاً إلى أنه لا وجود لشاعر جاهلي اسمه بشر بن عوانة، وأن القصيدة المنسوبة إليه هي لبديع الزمان نفسه.

أما كيف غفل ابن الشجري عن أن هذا الشعر لبديع الزمان، فربما أنه لم يطلع عليه من خلال المقامات، وإنما تلقاه عن طريق الرواية الشفوية، إذ يقول في سنده للقصيدة في أماليه: "وقاتلها بشر بن عوانة الأسدي، أنشدنيها القاضي أبو يوسف محمد بن عبد السلام القزويني، وقال أنشدنيها خالي أبو الفضل بديع الزمان الهمداني"<sup>١٣٨</sup>، وليس في هذا الإسناد إشارة إلى المقامات.

وقد يكون هناك سبب آخر لوقوع ابن الشجري وغيره في هذا التوهم هو أن بديع الزمان كثيراً جداً ما يضمن مقاماته شعراً قديماً، كثير منه صحيح النسبة، كبعض الشعر الذي أورده لحسان في المقامة السودية، دون أن يصرح باسمه<sup>١٣٩</sup>، وكالشعر الذي أورده لأبي نواس في المقامة الإبلية مصرحاً باسمه<sup>١٤٠</sup>. غير أن تصرف الهمداني في أشعار أخرى إضافة وحذفاً، بل نحل شعر إلى غير قائله كالسينية التي قالها على لسان ذي الرمة<sup>١٤١</sup>، في المقامة الغيلانية<sup>١٤٢</sup>، وكبعض الشعر الذي أورده على لسان حسان في المقامة السودية التي ذكرناها قبل قليل - كان حرباً أن يدفعهم إلى مزيد من التحقيق، وأن يتنبهوا إلى الطبيعة الإبداعية الخيالية للمقامات، التي رغب صاحبها في كثير من الأحيان أن يمزج فيها الوهم بالحقيقة، والواقع بالخيال.

<sup>١٣٧</sup> الهمداني، مقامات الهمداني، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، مصر، ١٤٣٢هـ-١٩٢٣هـ، ص ٤٤٨.

<sup>١٣٨</sup> ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، ٤٧٩/٢.

<sup>١٣٩</sup> الهمداني، مقامات الهمداني (شرح محمد عبده)، ص ١٣٦.

<sup>١٤٠</sup> السابق، ص ١٨٢.

<sup>١٤١</sup> ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ١٨٧٩/٣.

<sup>١٤٢</sup> الهمداني، مقامات الهمداني (شرح محمد عبده)، ص ٣٥.

ويمكن لفحص هذين البيتين مبنى ومعنى أن يسهم في الكشف عن زيف الرواية، لما انطوت عليه من ضعف وقلة حيلة. وأظهر ما يتمثل ذلك في قوله: "وأضحى البر خالي منه صفراً"، بتسكين الباء في "خالي" أو تحريكها بالفتح، إذ كان عليه أن يقول: "خالياً". وتجنب هذا الخطأ أو الضرورة الشعرية وما يترتب عليها من ركافة ونثرية تحاكي الاستخدام الشعبي أمر متاح يبسر على أكثر من وجه.<sup>١٤٣</sup> وفي قوله: "لقد خابت ظنون لميس فيه" يجعل لميساً تراهن على الأسد وتشايعه على ابن عمها وكأنها تريد هلاكه (غير أن الأسد للأسف خيب ظنهما!). وفي البيت الأول ركافة في الجمع بين "مثلي" و"أقوى"، وكذلك في عطف الثاني على الأول منهما، ثم في استخدام العطف بالواو<sup>١٤٤</sup>. ومن ناحية أخرى فإن المفاضلة في قوة الهمة وشدة الصبر إنما تسوغ بين فارسين، وأما المفاضلة بين الفارس والأسد فإنما تكون في القوة والشجاعة وما يدور حولهما، ولا مكان للصبر، الذي يتطلب عراقاً طويلاً لا يكون في اللقاء بين الأسد والإنسان. واجتماع كل هذه الهنات في البيتين السابقين اللذين يذكرنا بشعر "ألف ليلة وليلة" يكشف عن زيف نسبتها إلى عمرو بن معديكرب.

ومن غير اليسير القطع بدوافع هذه الرواية، لنقص البيئات ومن بينها غياب النص الموازي. ولكن يمكن القول بأن عمراً منذ صدر الإسلام غداً أشبه بشخصية شعبية يدور حولها القصص البطولي الذي يمزج بين التاريخ والأسطورة، ومع القصص أشعار موضوعة على لسان الشاعر<sup>١٤٥</sup>. وكان للعصية اليمينية أثر بارز في هذا وذاك. ويبدو هذا الأثر - كما يقول جامع الديوان - متمثلاً في محور قام على كتب ومرويات كل من هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، والحسن بن أحمد الهمداني (ت ٣٣٤هـ)، ونشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ).<sup>١٤٦</sup> وكان العصية اليمينية أرادت أن تجعل من شاعرها رمزاً من رموز البطولة موازياً أو منافساً لرموز البطولة الأخرى من فرسان الجاهلية

<sup>١٤٣</sup> وذلك كأن يقول: وأضحى البر خلواً منه صفراً. أو: وأضحى البر منه اليوم صفراً. أو: وهذا البر أضحى منه صفراً. ولعل الخيار الأخير هو الأفضل. وأردنا من تقديم هذه الخيارات أن نبين ضيق عطن صاحب هذا الشعر.  
<sup>١٤٤</sup> فإما أن يقول في الشطر الثاني بما معناه: مع أنني أقوى منه... أو أن يقول في الشطر الأول مثلاً: "تظن لميس أن الليث أعتى".

<sup>١٤٥</sup> انظر: الزبيدي، عمرو بن معديكرب، شعر عمرو بن معديكرب ص ٢١-٣٠

<sup>١٤٦</sup> انظر: السابق، ص ٣٥-٣٧

وخاصة الرمز الأشهر المتمثل بعنترة العبيسي القيسي، الذي طالما قرنت الأخبار والروايات بينه وبين عمرو بوصفهما من أعظم فرسان الجاهلية. وسنجد بتأثير هذه العصبية، مع الزمن، تنامياً لبطولات عمرو وشعره يريد أن يشهد له بالسبق والتفوق على أقرانه. فيورد نشوان الحميري في شمس العلوم خيراً مفاده أن عمراً أسراً كلاً من عنترة ودريد بن الصمة والحارث بن ظالم وعمار بن الطفيل وعباس بن مرداس في وقائع وغارات مشهورة، وأن كلاً منهم قال شعراً في استعطاف عمرو ومدحه وتمجيده حتى أطلقه ومنّ عليه<sup>١٤٧</sup>. وفي "الفاصل بين الحق والباطل في مفاخر قحطان واليمن"<sup>١٤٨</sup> تفصيل للخبر السابق، مع إضافة شعر لعمرو يخاطب فيه كل فارس من هؤلاء باسمه<sup>١٤٩</sup>. ونلاحظ أن عنترة هو الوحيد بين هؤلاء الفرسان، الذي يحز عمرو ناصيته قبل أن يخلي سبيله، كأنما إمعاناً من الرواية في إذلال عنترة على يدي عمرو. وليس لهذا الخبر، الذي لا يكاد يستثني أحداً من فرسان العرب المعدودين، ذكر في مصادر أخرى. وقد صرح ابن الجراح بأن عمراً "لا يُعلم له في الجاهلية أسير"<sup>(١٥٠)</sup>.

وأشار جامع ديوان عمرو إلى تغلغل شهرة عمرو في وجدان العامة وبلوغها الرتبة التي بلغت بها شهرة عنترة العبيسي، غير أن "خلو سيرة عمرو من المشكلة العاطفية قصرها على المجال الحماسي وعاق نموها الفني على أفواه الرواة. ثم جاء تدوينها المبكر، ولمّا يكتمل نضجها، على يد هشام الكلبي فبقيت حيث هي ولا تزال عليها صبغة الأخبار التاريخية."<sup>١٥١</sup> وهنا ربما يكمن الدافع الأكبر وراء نسبة القصيدة أو بعضها لعمرو بن معديكرب، مع إجراء التغييرات اللازمة،

<sup>١٤٧</sup> انظر: الزبيدي، عمرو بن معديكرب، شعر عمرو بن معديكرب ص ١٧٧

<sup>١٤٨</sup> ذكر جامع ديوان عمرو (المرجع السابق، ص ٣٦ و ١٧٦) أنه مخطوط في مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت مسوق عبارة: "الجزء الثالث من الإكليل للهمداني"، يقع في نحو مائة ورقة، نسخة أمشاج مجهولة المؤلف، لا مقدمة لها ولا خاتمة، كُتبت في عام ١٣٦٦هـ بقلم علي بن علي الأنسي بصنعاء. وصرح صاحب الديوان بأنه لا يتفق بصحة هذه المخطوطة. وقد أثبت ما ورد فيها من شعر في ملحق الديوان لضعف نسبته إلى عمرو.

<sup>١٤٩</sup> السابق، الملحق، ص ١٨٢-١٨٤. ويخلو المخطوط من الشعر الذي خاطب فيه دريد بن الصمة، في حين أورد المخطوط مقطوعتين في مخاطبة عامر بن الطفيل، خلت الثانية منهما من اسم الفارس الذي يخاطبه.

<sup>١٥٠</sup> ابن الجراح، محمد بن داود، من سمي عمراً من الشعراء، (مخطوط)، ق ٥١، (نقلاً عن جامع الديوان، ص ٢٤، اعتماداً منه على نسخة مصورة لديه من مخطوطة الكتاب كما يذكر في ثبوت مصادره).

<sup>١٥١</sup> الزبيدي، عمرو بن معديكرب، شعر عمرو بن معديكرب، ص ٣٠.

وصرف مناسبتها وقصتها إليه؛ حيث تقف لميس عمرو، التي تجعلها الرواية ابنة عمه أيضاً، قبالة عبلة عنترة، وهما أبناء عمومة، وحيث تتلون صورة البطولة بصورة الحب لأول مرة في سيرة عمرو وشعره، برجاء أن تُمنح هذه السيرة بعدها العاطفي الجديد فرصة النماء في الضمير الشعبي ووضعها في منافسة واضحة مع صورة عنترة سيرة وشعراً، غير أن ما نال صورة عنترة من النحل على صعيد السيرة والشعر لا يجاريه فيه أحد سواه من الشعراء وغير الشعراء في العصر الجاهلي وفي غير العصر الجاهلي، ولكن لأسباب ودوافع مختلفة ومتداخلة<sup>١٥٢</sup>.

وليس تحديد زمن ظهور هذه الرواية المزيفة بالشيء اليسير أيضاً. والشيء الوحيد الذي يمكن أن نذهب إليه الآن هو أنها لم تظهر قبل ظهور مقامات بديع الزمان (٣٥٨هـ-٣٩٨هـ) وهي مرشحة للامتداد حتى زمان الكتاب أو المخطوط المجهول الذي اطلع عليه الأستاذ الإمام.

#### الخاتمة:

ساعدت الرواية الشفوية للشعر الجاهلي، خاصة، لمدة غير قصيرة نسبياً، مع احتدام العصبية القبلية والسياسية والمذهبية والعلمية على إحداث نوع من التزييف أو الصرف والإلحاق على أيدي أصحابها انتصاراً لعصبياتهم، علاوة على دور بعض الرواة في ذلك تدفعهم إليه دوافع شتى. وقد أخطرنا العلماء الأوائل بكل ذلك وبخاصة محمد بن سلام، الذي قام مع غيره من العلماء والرواة الثقات بالكشف عن كثير من هذه الوقائع في الرواية وملابساتها ودوافعها، الأمر الذي أتاح لنا اليوم مع التباعد الزمني أن نستأنف فيها النظر. غير أن هناك نوعاً آخر من الصرف والإلحاق غير المغرض ولكن فيه عبثاً بالرواية الأصلية يجاوز ما تعرف عليه باسم الإصلاح والتحسين. وقد حاول هذا البحث أن يقف على أمثلة جديدة (ما عدا بعض الأمثلة التي أشير إليها من قبل) داخلته الريبة في صحتها في ضوء المعارف المتصلة بحركة الرواية التي قدمها لنا أولئك العلماء. وقد خلص البحث إلى عدد من النتائج والتصورات من أهمها:

١- أن بعض التغييرات التي قد تبدو تغييرات عفوية نتيجة التصحيف أو التحريف خاصة هي من قبيل الصرف والإلحاق الذي تقف وراءه عصبية من العصبية.

<sup>١٥٢</sup> انظر دراسة مصطفى الجوزو القيمة في "شعر عنترة" التي أشرنا إليها ضمن تناولنا للدراسات السابقة في

- ٢- أن أسماء الأشخاص والقبائل والأماكن في البيت الشعري من أخصب المجالات وأيسرها للتلاعب بالرواية الصحيحة.
- ٣- أن ظاهرة الصرف والإلحاق في الرواية الشعرية بدأت في وقت مبكر في المحيط العربي، ولم تتوقف بانتهاء مرحلة التدوين.
- ٤- أن العلماء العرب في مرحلة التدوين وفي القرون التي تلتها ربما فاتهم ما لم يشيروا إليه من وقائع الصرف والإلحاق في الرواية الشعرية، وخاصة بعد القرن الثالث، أو أنهم أشاروا إلى أشياء لم تصل إلينا.
- ٥- أهمية أن ينهض فحص الروايات المختلفة عند شبهة الصرف والإلحاق على منهج نقدي متكامل: فني ولغوي وتاريخي وبكل الأدوات المعرفية التي هي في وسع الدارس.
- وأخيراً لعل هذا البحث أن يكون حلقة في استكمال جهود العلماء الرواة في دراسة ظاهرة هامة من ظواهر شعرنا القديم، لعلها ما تزال بحاجة إلى مزيد من الدرس. والله من وراء القصد.

#### المصادر والمراجع

- طه أحمد ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٩٣٧م .
- الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩،
- الأسدي ، بشر بن أبي خازم ، ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق عزة حسن ، ط٢، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- الأعشى ، ميمون بن قيس ، ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق محمد محمد حسين ، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٦٨م .

- ديوان الأعشى، دار الثقافة، بيروت، دت.

امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس وملحقاته، دراسة وتحقيق أنور أبو سويلم و محمد الشوابكة، ط ١، مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الإمارات العربية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- ديوان امرئ القيس، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعارف، مصر،

١٩٦٤م.

الأنباري، أبو محمد القاسم، ديوان المفضليات، تحقيق كارلوس يعقوب لائل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٠م.

ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م.

البصري، أبو القاسم علي بن حمزة، التنبهات على أغاليط الرواة (مع كتاب المنقوص والممدود للفراء)، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط ٣، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦م.

بكر، أيمن، تعدد الرواية في الشعر الجاهلي، ديوان الهدلين نموذجاً، ٢٠٠٤م، الموقع

الإلكتروني: [www.Kotobarabia.com](http://www.Kotobarabia.com).

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.

الثلب، عبد الخالق محمد السيد، اختلاف رواية الشعر بين المفضليات والأصمعيات: دراسة نقدية موازنة، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، د. ت.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.



الجمحي ، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، جدة ، ١٩٨٠ م .

جميل الله، ابراهيم حمد أحمد، اختلاف رواية الشواهد الشعرية وأثره في استنباط القواعد النحوية، دراسة (نحوية وصفية)، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، د.ت.

الجندي ، درويش ، الحطيئة ، ط ١ ، مكتبة نهضة مصر ، مصر ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .

ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

الحادرة ، قطبة بن أوس، ديوان شعرا الحادرة ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٣ .

ابن حجر ، أوس بن حجر ، ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

حسن، عباس، النحو الوافي، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤ م.

حسن، قسم السيد الياقوت محمد، النحاة وصناعة الشاهد الشعري، رسالة جامعية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، ٢٠١٢ م.

حسين، طه، الأدب الجاهلي، ط ١٠، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩ .

حسين ، طه ، حديث الأربعاء ، ط ١٠ ، دار المعارف ، مصر ، دت .

الحطيئة ، جروول بن أوس ، ديوان الحطيئة ، تحقيق نعمان محمد أمين طه ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم الأدباء، تحقيق د.س. مر غوليوت، سلسلة جب التذكارية، ليدن ولندن، ١٩٠٩ .

ذو الرمة ، غيلان بن عقبة العدوي ، ديوان ذي الرمة ، تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الإيمان ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

الرافعي ، مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب ، ط ٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

الزبيدي ، عمرو بن معديكرب ، شعر عمرو بن معديكرب ، تحقيق مطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

الزركلي ، خير الدين محمود ، الأعلام ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ م .  
الزماخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢ م.

ابن زيد، الكميت، ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠ .

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: المزهرة، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه ، دار الفكر، بلا مكان طبع ، بلا تاريخ طبع .

ابن الشجري ، هبة الله بن علي أبو السعادات العلوي ، مختارات شعراء العرب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

- أمالي ابن الشجري ، تحقيق ودراسة محمود محمد الطناحي ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

الشكعة ، مصطفى ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

الشمخ ، الشمخ بن ضرار بن حرملة ، ديوان الشمخ ، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨م .

صباح ، مالك سليم ، اختلاف روايات شواهد الأعشى الشعرية في لسان العرب ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، نابلس ، فلسطين ، ٢٠٠٩م .

الضبي ، المفضل ، المفضليات ، تحقيق كارلوس يعقوب ليال ، المطبعة اليسوعية ، بيروت ، ١٩٢٠م ، ص ٣٣ .

ضيف ، شوقي ، العصر الجاهلي ، ط ٤٠ ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠١٧م .

ابن الطفيل ، عامر ، ديوان عامر بن الطفيل ، بعناية كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، ص ١٢٦ .

العامري ، ليبد بن أبي ربيعة : ديوان ليبد ، تحقيق إحسان عباس ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ١٩٦٢م .

عبد الرحمن ، عفيف ، معجم الشعراء ، ط ١ ، دار المناهل ، بيروت ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

العتوم ، علي ، قضايا الشعر الجاهلي ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ١٩٨٢م .

العدناني ، محمد ، معجم الأخطاء الشائعة ، ط ٢ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٥م .

العوفي ، حمد عبد الله ، اختلاف الرواية في ديوان أشعار الهذليين ، دراسة بلاغية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الملك عبد العزيز ، ٢٠١٩م .

ابن فارس ، أبو الحسن أحمد ، مقاييس اللغة ، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٨م .

الفحل ، علقمة بن عبدة ، ديوان علقمة الفحل ، تحقيق لطفي الصقال ودريّة الخطيب ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، حلب ، سوريا ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

قاسم، محمد علي مهدي، دوافع وأسباب اختلاف الروايات في الشعر العربي القديم، رسالة  
دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، د.ت.

القالبي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب، جمهرة أشعار العرب، تحقيق علي محمد الجاوي، ط ١،  
دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، ط ١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٠٨هـ.

- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

المثقب، عائذ بن محصن العبدوي: ديوان شعر المثقب، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي،  
جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، الشركة المصرية للطباعة، مصر، ١٣٩١هـ -  
١٩٧١م.

المجمع اللغوي في القاهرة، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.

المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران، الموشح، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الفكر  
العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.

- معجم الشعراء، صححه وعلق عليه ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

مستشرقون، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي"، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار  
العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بعناية يوسف البقاعي،  
ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

مونرو، جيمس، النظم الشفوي في الشعر الجاهلي، ترجمة فضل بن عمار العماري، ط١، دار  
الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ١٩٨٧.

الهدلي، أبو ذؤيب خويلد بن خالد، ديوان الهدليين-القسم الأول، دار الكتب المصرية،  
القاهرة، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد، الإكليل (ج٨)، تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحواليّ  
، بلا مكان، دت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الهمداني، بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين، مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمداني  
، شرح الشيخ محمد عبده، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٨٩م.

- شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، مصر، ١٤٣٢هـ - ١٩٢٣هـ.